


# أقول له؟!..

شعر: د. غازي عبد الرحمن القصيبي

أقول له..

أم تقولين أنتِ..

لهذا القمر؟

.. بأنّا كبرنا على الحبّ..

لا نتحمّل حتّى السَهَرْ

وما عاد في وُسعِنا أن نعيشَ المُعاناة..

قَبل الشُروقِ.. وبَعْد السَحَرْ

أقولُ لهُ..







أم تقولين أنتِ؟..

«علامَ تُضيّع هذا الشُعاعَ الجميلَ علينا

ونحنُ نفَضنا يديْنا

من الحُبِ؟ نحن انتهيْنا

من الشوق؟ نحن ارتميْنا

على عَتَباتِ الضَجرْ؟»

أقول لهُ..

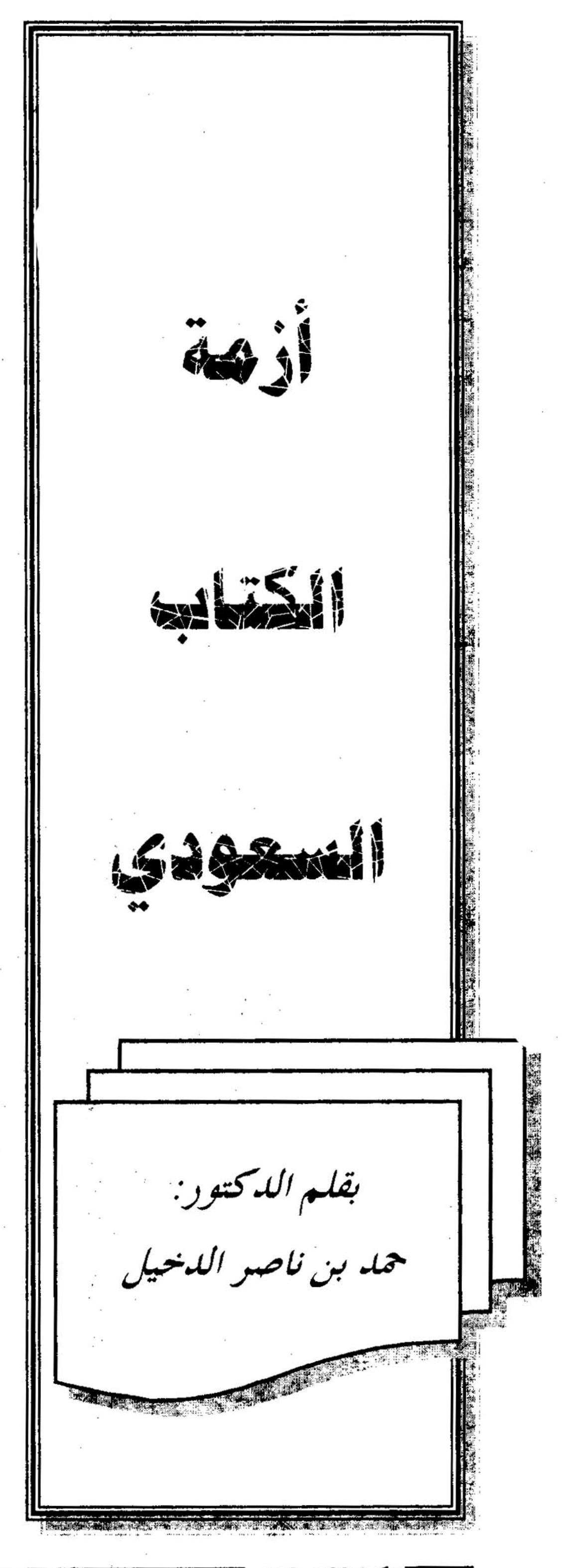
أم تقولين أنتِ..؟

ولكنه لا يزال يطلُّ.. يُضيءُ.. يراود.. يُسحِرُ

ماذا تظنّين أنتِ؟..

أظنّ الخبيثَ انتصرْ!




# أزمة الكتاب السعودي

بقلم الدكتور: حمد بن ناصر الدخيل

يواجه الكتاب السعودي ازمه في تسويقه وانتشاره خارج الحدود، ويفتقد الوسائل الضرورية القادرة على توصيله إلى القارئ العربي في كل مكان.

وتتمثل المشكلة في أنه يطبع غالباً في الداخل، ولا يتجاوز توزيعه نطاق الحدود، وتنفد نسخه في مدة وجيزة أو طويلة من غير أن يكون له نصيب في التوزيع خارج المملكة.

ويترتب على هذه المشكلة أن جمهرة المثقفين والقراء في البلاد العربية لا يكادون يعرفون شيئاً عن الكتاب السعودي، وليس لديهم التصور المطلوب عن إسهام المؤلفين والعلماء والأدباء السعوديين في نشر الكتاب، وإثراء الساحة الثقافية، وإذا عرفوا شيئاً من ذلك عن طريق صحيفة، أو مجلة، أو إذاعة، ورغبوا في اقتنائه، أو الأطلاع عليه، صعب عليهم وجوده في مكتبات أقطارهم العامة والتجارية.

وهذا - بطبيعة الحال - يجعل الكتاب السعودي ضعيف الأثر في صنع الثقافة العربية المعاصرة على الرغم من أن المملكة تعيش حياة نشطة في الطبع والنشر.

ويمكن أن نستدل على ذلك بتصفح جريدة المصادر والمراجع في أي كتاب يصدر في بلاد عربية، لنرى أن الكتاب السعودي يمثل غياباً مستمراً يؤلم ضمير كل غيور مخلص لثقافة وطنه

وحين أتحدث عن الكتاب السعودي في هذا المقام أريد به الكتاب الذي نعتز به، ونفخر بتقديمه على قارئ العربية، الكتاب الذي توافرت فيه شروط التأليف ومواصفات النشر في الموضوع، والمضمون، والمنهج، والمعالجة، واللغة، ولا أريد به بعض ما تخرجه بعض دور النشر من كتب هابطة في مستواها اللغوي والفكري.

وتسويق الكتاب السعودي خارج الحدود قضية ثقافية ووطنية مهمة، لأنها ترتبط بما لهذه البلاد من دور تاريخي رائد في نشأة الثقافة العربية والإسلامية، ونشرها في العالم، وما تمتاز به المملكة في حاضرها من ثقل في الميزان الدولي، وإسهام في حل مشكلاته وقضاياه.

وفي إطار تحديد المسؤولية عن انتشار الكتاب السعودي نجد أن دور النشر المحلية التي تتولى إصدار معظم الكتب السعودية هي المسؤولة بصفة مباشرة عن هذه القضية، فنشر الإنتاج السعودي خارج الحدود من أولى واجباتها، ولا سيما أن لديها من الإمكانات المالية والإدارية والقدرة التسويقية ما يمكنها من القيام بهذه المهمة، حمتها الدولة من منافسة المطابع ودور النشر خارج المملكة، وألزمت كل مؤلف سعودي أن يطبع كتابه في الداخل، ويسرت لها استقدام العمالة الأجنبية الرخيصة، ومنحتها تسهيلات لا تظفر بها دار نشر في دولة أخرى.

إن النظر دائماً إلى الربح المادي السريع المضمون يقعد بها عن التخطيط للمستقبل، ويجعلها تتراخى عن البحث عن منافذ عربية وعالمية لتصدير ثقافتنا وأدبنا، وتقنع من ذلك بالاقتصاد على سوق المكتبات المحلي في التوزيع، وإذا كان لدى بعضها شيء من نشاط اكتفى بتوزيع الكتاب في بعض دول الخليج، ومعنى هذا أن الكتاب لا يتجاوز حدود الجزيرة العربية في أقصى تقدير.

ترتبط دور النشر والمكتبات في المملكة بصلات تجارية مع مثيلاتها في الدول العربية، وبخاصة في مصر ولبنان، وتقوم بمهمة تسويق منشوراتها في سوق المكتبات في المملكة.

وللتسهيلات الممنوحة لدور النشر والمكتبات العربية تستقبل المملكة كل عام فيضاً مما تصدره دور النشر خارج الحدود، فلماذا تقتصر هذه الصلات على ترويج الكتب القادمة من وراء الحدود، دون أن يكون - في مقابل ذلك - توصيل ونشر للكتاب السعودي في السوق العربية؟ ولماذا نعامل دائماً على أننا أمة تستهلك، ولا نعامل على أننا أمة تنتج وتسهم في العطاء؟

وحجة أن الكتاب السعودي غير قابل للتصدير لأن ثمنه مرتفع، حجة داحضة لا أساس لها من الصحة، فليس هناك فرق يذكر بين سعر الكتاب المحلي وسعر الكتاب المستورد، على الرغم من أن تكلفة الطباعة

في لبنان ومصر تقل عن تكلفتها هنا بما يصل إلى ٥٠%، وهي مسألة جديرة بالنظر والدراسة من قبل الجهة المختصة في وزارة الإعلام ووزارة التجارة.

يطلب من دور النشر المحلية أن تتجاوز نظرتها المادية والمحدودة، والربح السريع المنتظر، وتعتبر نشر الكتاب السعودي وتسويقه في الأقطار الناطقة بالعربية قضية ثقافية، وضريبة وطنية، ولا تكتفي في تعريف القارئ العربي بثقافتنا بما تقوم به الجامعات والأندية الأدبية، والجمعيات الثقافية في هذا الصدد، لأن ألوان النشاط الثقافي، وما تعقده من صلات علمية مع جهات مماثلة يقتصر على تبادل الكتب والبحوث والخبرة فيما بينها، ولا يمتد إلى التعريف بالكتاب السعودي على مستوى قاعدة عريضة من الناطقين بالعربية، فيظل مجهولاً عند الغالبية العظمى من قراء العالم العربي.

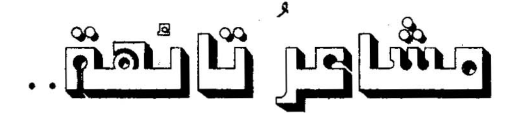
في العالم العربي دور نشر نشطة – مثل دار المعارف بمصر، ودار العلم للملايين في لبنان – توزع منشوراتها في كل الأقطار التي تجد فيها قارئاً عربياً، فلماذا لا تتخذ منها دور النشر القادرة في بلادنا قدوة ومثلاً؟ وتفتح لها منافذ عربية وعالمية لتصدير الكتاب السعودي؟

إن الموضوع لا يقبل التراخي والانتظار والتسويف، بل لا بد من اتخاذ إجراء عملي حتى لا تظل ثقافتنا في الظل لا تعرفها إلاّ فئة قليلة، كالشجرة تحيا ما شاء الله لها الحياة، ثم تذبل ويجوز عليها الفناء، وهي في مكانها الوحيد لا تريمه، ولا يعرفها إلاّ من كان يمرّ بها من السابلة.

ونحن لا نرضى لثقافتنا التي شيدنا صرحها سنين كثيرة أن تعيش حالة من الانطواء والانزواء، لا يلم بأطرافها إلاّ القليل ممن يزور هذه البلاد ضيوفاً ومدعوين من مثقفي بعض البلاد العربية، أو ما تصدره الجامعات من كتب إلى مثيلاتها تبادلاً وإهداء، وهي نسبة قليلة.

إن ثقافتنا تبحث لها عن متنفس أرحب وأوسع، لتسهم في صنع ثقافة الإنسان، وتشكيل حضارته، فهل نعي ذلك، وندرك أهميته؟

ويمكن سلوك الخطوة الأولى في التعريف بالكتاب السعودي تمهيداً لتصديره خارج الحدود على نطاق واسع، بإصدار نشرات ببليوجرافية شهرية أو ربع سنوية ترصد فيها الكتب والمؤلفات التي تصدر في المملكة، وتعرف بها في عبارات موجزة، وتوزع في داخل المملكة على الجامعات والمكتبات والمؤسسات العلمية، وتوزع في خارج المملكة عن طريق الملحقيات الثقافية والسفارات.



# مشاعر تائهة..

*شعر: د. خالد بن سعود الحليبي*

خَفِّفْ لواعجَ أشواقي بِتَغْريدِ
رغَنِّ دهراً ولا تسأمْ بترديدِ
عسى فؤاديَ يَسْلُو اليومَ من رَحَلُوا
وخَلَّفُوهُ بلا فَجْرٍ ولا عِيدِ
يُكَتِّمُ الحُزْنَ حتى قيلَ: ذا فَرِحٌ
ولو تَقَرَّوْهُ أدماهم بِتَنْهِيدِ
وأَحْبِسُ الدَّمْعَ حتى ضَجَّ مِنْ حُرَقٍ
جَفْنٌ تعاوره البَلْوى بِتَسْهِيدِ
قالوا: تَعَوَّدْ، فَقلتُ الحُبُّ تَجْرِبتي
وفُرْقَةُ الخِلِّ لا تُسلي بتعويدِ
وكيفَ أسلُو؟، وهلْ يسلو فؤادُ فتىً
ألقى إلى الحُبِّ طوعاً بالمقاليدِ؟
أَهيمُ في حُبِّهم حتى إذا اعتكرت
ليلاءُ في خاطري تمتمت: أَنْ جُودي
جُودي لنا لو بِطَيْفٍ لا يُصاحِبُهُ
هَمٌّ تَعَهَّدَ أَحْلامي بتنكيدِ







يـا ويـحَ صَـحْبي إذا غَـصَّتْ حنـاجِرُهُم

بالعـذلِ جَهْـلاً، وهَـلْ سَـالٍ كمعمـودِ

أنـا الـذي يُبحـرُ الأحبـابُ في دمـهِ

فلـيسَ يـسلو بـآلافِ الأناشـيدِ

أعـيشُ في خـافقِ الـدُّنيا كمزرعـةٍ

لـو أُمطـرت بـالأذى جـادتْ بعنقـودِ

وأزرعُ الحـبَّ في أَقـسى القلـوبِ فـلا

أشـقى بقسوتها والحُـبُّ محـصودي

*   *   *

إذا وفـتْ مـن أحبَّـائي معاتبـةٌ

وافـتْ بقلـبيَ بابـاً غـيرَ موصـودِ

ويـدفنُ الخِـلُّ في جـنبيَّ نازلـةً

تكـادُ لـو كُتِّمـتْ بـالنَّفسِ أنْ تـودي

فـلا أفارقـه حتَّـى أراهُ غَـدا

يجـري سـروراً، وأبقـى غـير محمـودِ

أظـلُّ أطـوي سـوادَ الليـلِ محترقـاً

بنـارِ غـيري، ولا أحظـى بتبريـدِ

*   *   *

أحـبُّ زغـردةَ الأيَّـامِ مفترشـاً

في سـهلها زهـرَ أفراحـي وتغريـدي







وأعْـــشَقُ البـــسمةَ الخـــضراءَ في فمهـــا
ولـــست أجـــزع في أيامهـــا الـــسود
تهزُّنـــي صـــرخاتُ القهـــرِ داميـــةً
ولا تلامـــسُ حـــسِّي نغمَـــةُ العـــودِ
لا تَـــسْحَرُ العَـــيْنُ لُبِّـــي وَهْـــيَ فاتِنَـــةٌ
وتـــستبيني المُنـــى في أَعْـــيُنِ الخـــودِ

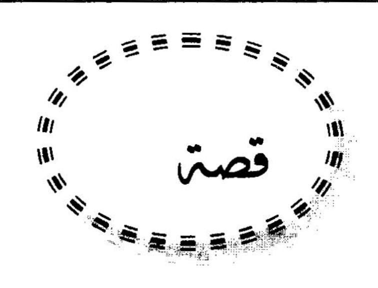
* * *

جَعَلْـــتُ مِـــنْ قلـــبيَ الحـــاني مرافـــئَ لم
تمنـــع ســـفيناً، ولمْ تَبْخَـــل بموجـــودِ
وسِـــرْتُ في دَرْبِ آمـــالي كغاديـــةٍ
في كُـــلِّ قَلْـــبٍ لهـــا أحلـــى المواعيـــدِ
وعـــشتُ أجهـــلُ لَـــوْنَ الغَـــدْرِ سِـــحْنَتَهُ
حتـــى أفقـــتُ بـــسيفٍ فيَّ مغمـــودِ
لكنَّمـــا الهِمَـــمُ العُلْيَـــا تـــسيرُ علـــى
جـــسرٍ مـــن العَـــزْمِ فـــوقَ الحِقْـــد ممـــدودِ

* * *

ولـــيسَ في مَـــشْرِقِ الـــدُّنْيا ومَغْرِبِهـــا
مـــن يـــصنعُ العـــزمَ مجـــداً غـــيرُ محـــسودِ




# مفتاح.. في جيب الزوج

بقلم المفكر:
محمد كامل الخجا

لم يكن يخطر ببال أم خالد أن زوجها أبا خالد يمكن أن يتزوج عليها امرأة أخرى في يوم من الأيام، فهي أم أولاده قبل كل شيء، وهي ابنة عمه.. وهي زوجة محبة ومثالية ونظيفة وفوق هذا هي جميلة بحيث أن بعض الجارات يؤكدن لها أنها أجمل واحدة في الحي.. لماذا إذن يتزوج عليها أبو خالد؟

هي تعرف أن زوجها ليس ثرياً، وأن دخله من المقالات التي يكتبها للصحف تكاد تغطي النفقات الأساسية للأسرة، أي أنها وزوجها وأولادها يعيشون في حالة مستورة، والزواج من ثانية يتطلب نفقات وتكاليف ومهراً عالياً، خاصة وأن زوجها تجاوز الخمسين، وعليه أن يدفع مهراً كبيراً إذا فكر بالزواج من شابة صغيرة.

قد تتساءلون: ما الذي جعل أم خالد تفكر بعد ربع قرن من المعايشة مع زوجها بأنه يتزوج عليها..؟!؟

سنجيبكم في التو ونقول: إن أم خالد بدأت ترتاب في الفترة الأخيرة في سلوك زوجها، فهو يغيب كثيراً عن البيت، وخاصة في المساء، وهو الذي كان يخرج من وظيفته ويأتي إلى بيته فوراً..

سألته عن سبب غيابه فلم يجبها.. ولمّا ألحّت عليه كان يتمتم وهو يقول لها: عندي شغل يا حرمه.. عندي شغل.

ولم تلحّ بالسؤال أكثر لأنها تخشى الحالة العصبية التي يصبح عليها عندما تلح عليه في موضوع لا يريد الحديث فيه..

ولكن الشكّ ظل يأكل قلبها مثل النار.. تريد أن تتأكد من هذا الموضوع لعلّها تستطيع تدارك الأمر قبل أن يقع.. ولم تفلح أية طريقة.. وفي يوم . وعندما كانت تفتش جيوبه لتخرج ما بها تمهيداً لغسل ثيابه.. فوجئت في أحدها بمفتاح من نوع غريب.. وليس من المفاتيح التي يحملها زوجها والتي تعرفها واحداً واحداً..

وزادت نار الشك في صدرها، وتوقعت أن يكون هذا المفتاح للشقة التي تعيش فيها ضرتها التي تزوجها دون أن تدري..

خشيت أن تفاتحه في الأمر.. فلجأت إلى طريقة أخرى، طلبت إلى شقيقها أن يراقب زوجها عدة أيام دون أن يشعره بذلك..

وجاءها شقيقها بعد عدة أيام من المراقبة يفيدها بأن زوجها يذهب يومياً إلى أحد مراكز البحوث.. حيث يعمل هناك عدة ساعات في إعداد كتاب..!

ولم ترتحْ أم خالد إلاَّ عندما علمت بطريقة لبقة من زوجها.. بأنه كان يعد لها مفاجأة.. لاستبدال أثاث البيت وفرشه عندما يقبض ثمن الكتاب الذي يقوم بتأليفه..

كما علمت أن المفتاح هو مفتاح الخزانة التي خصصت له في مركز البحوث.. ليضع فيها المراجع التي يبحث فيها..



# أغنية للوطن..

شعر: د. منصور الحازمي

أنت أيها الوطن الممتدُّ في الزمان والمكان
المتطلّعُ أبداً إلى ما وراء الأفق،
كيف نعرفك؟
كيف نتمثلك في عروقنا، وتختلط بدمائنا، وتخفق في قلوبنا
وتستولي على كل ما نشعر به أو نحسّ؟؟
كيف نرتفع إلى قامتك؟
ونصل إلى ذراك؟
ونقتبس من أمجادك، ونتعلّم من كبريائك ورجولتك؟
أيها الوطن..

* * *

لقد أعطيتنا كل شيء
لا يكفي أن ننتسب إليك بالهوية أو اللون أو العرق
لا يكفي أن نراك خطوطاً متعرّجة على الخرائط
أن نقرأك تاريخاً بارداً في المقررات المدرسية، أو أرقاماً
إننا منك أماداً طويلة
اختلطنا بحرّك وقرّك وترابك آلاف السنين، حتى غدوت لنا
عمراً وذكريات
عرفناك مذ كنت بدوياً شامخاً يهتزّ نخوة ويلهج بالشعر
مذ كنت طاوياً تتبلغ برشفة وتتصبر بحفنة، أو تحزم
عليها تسعة تقيها الألم والصراخ

* * *

ولكن
قل لي بالله أيها الوطن كيف نعرفك؟؟
كنا صغاراً نلهج بذكرك ونتغنى بماضيك، نشمّر عن
سواعدنا الغضة ونمشي في خطوات منتظمة خلف العلم








ننشد في حماس ونشوه:
شباب العلا.. يا شباب العلا
ثم نختتم الطابور في صيحة واحدة مجلجلة: عاش الوطن..
عاش المليك والوطن
كنّا صغاراً نقضم ما تنبته تلالك من أوراق خضراء
نمتصّ رحيقك، ونرتشف قطرات مما تخبئه لنا صخورك الملساء
كنّا نشاركك الحرّ والقرّ
ننتظر المواسم، ونصبر معك على اللأواء

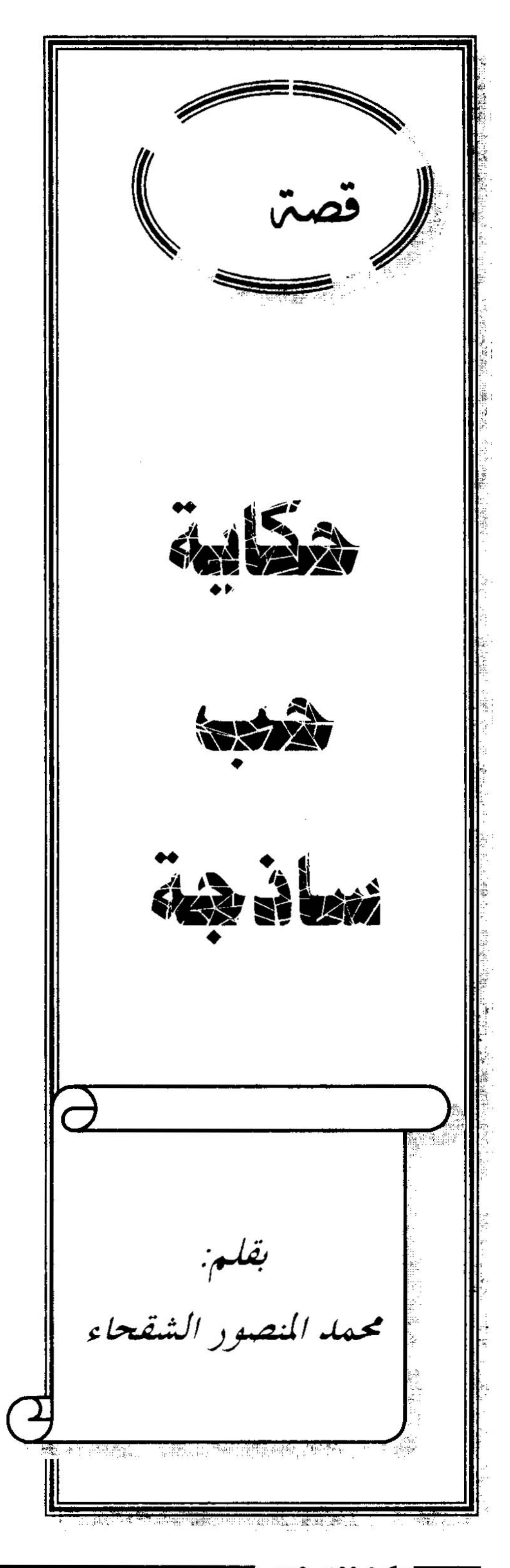
*　　*　　*

لا نشكو ولا نتذمّرُ
كنا نحدّق في وجهك الأبوي السمح طوال الأيام
نعدُّ الأبراج، ونتهيأ للربيع الذي يملأ الوديان والجبال بالزهور والأريج
كنا نعرفك تماماً، لا حباً في المعرفة، بل لأنك جزء مهم في حياتنا
بل أنت الحقيقة، وأنت الحياة

*　　*　　*

أو ليس من العار أيها الوطن أن تحجبنا عنك كل هذه
السواتر المادية الزائفة: غابات الاسمنت، وأقفاص الزجاج
وشخير التكييف وآلاف المخترعات؟!
لم نعد نحسّك كما كنا نحسّك سابقاً
وهذه الأفكار الشمولية الرائجة قد عمقت الغربة بيننا وبينك
ولو عرفناك حقاً أيها الوطن الحبيب، لما سدد بعض المؤدلجين
والمستغربين سهامهم نحوك، وأذاقوك طعم المرارة والألم
فلتسلم أيها الوطن العزيز
ولتعش أبد الدهر، لنعيش معك..




كان الدافع إلى الإقدام على الانتحار.. سماعه أن أحدهم تقدم لطلب يد نجوى وأن هناك شبه موافقة من أشقائها لثقتهم في الرجل الذي توسط لهذه الزيجة.

شعر خالد.. أن أعماقه تنفجر وأن الدم أخذ يسيل من فمه وأخذ يلطخ ذقنه المحلوق وثوبه الأبيض الناصع.. فأخذ يتقلب في فراشه..

الأصوات ثقيلة غير عابئة بما هو فيه.. فالجميع يريدون الوصول إلى نتيجة.. فالمتقدم للخطبة رجل أمن كبير في مقتبل العمر وصل للتو من بعثة دراسية في الخارج وعين مديراً لقسم شرطة البلد. وطلبه الوحيد أن يشاهد العروس ولو لثوانٍ حتى يكون على بينة..

والدين أباح هذه النظرة.. وذلك لصالح الزوج وكذلك في صالح الزوجة.. لم يفاتح أحد نجوى في ذلك، فالأشقاء الثلاثة ذوو خلفيات متباينة الأول غير مبالٍ والثاني شبه انتهازي والثالث لا رأي له مسلماً أمره لمشيئة الأخ الثاني..

دارت معركة خفية بين الأخوة. ونجوى التي أسلمت أمرها له كانت نظرتها وحديثها يدعوانه إلى عمل شيء. لم يفهم ما

تريد وركب قارب غضبه.. وأخذ يجدف إلى البر الثاني تاركاً الأمور تسير في أعنتها. هجر البيت وخلف وراءه ألف سؤال..

وتغيب عن العمل. أخذ الجميع يبحثون عنه هنا.. وهناك.. مرت ثلاثة أيام وهو قابع في شقة صديق له لا يعرفه أحد.. وفي مساء اليوم الرابع اشترى من البقالة التي في الشارع علبة أسبرو ودخل الحمام فاغتسل وصلى ركعتين.. ثم كتب رسالة باسم أخيه ووضعها تحت المخدة التي ينام عليها. بلع جميع محتويات علبة الأسبرو وعلى فترات ثم أسدل الغطاء على جسمه رغم حرارة الجو واستسلم للنوم..

حضر صاحب الشقة.. فلم يهتم بما حوله فخلع ملابسه وأخذ يتصفح بعض الجرائد ويده تعبث بمؤشر الراديو.

سار كل شيء طبيعياً بالنسبة لخالد..
أما نجوى فقد أخذ لها أحد أشقائها بعض الصور في أوضاع مختلفة ومع بقية الأسرة حتى يطلع عليها الخطيب.

ويكون الرأي الأخير وعمل الترتيبات السعيدة.. رغم الدموع.. تقلب خالد في الفراش.. وأخذ يحرك يديه ورجليه ثم أزاح الغطاء عن رأسه وأخذ يتلفت يميناً ويساراً.. كل شيء كما تركه البارحة.. إنها ذات الغرفة وذات الجدران.

حتى الصور المعلقة هنا وهناك بدون عناية لم تتغير. نهض من فراشه.. كان الوقت متأخراً. أسرع إلى الحمام حيث رمى بعلبة الأسبرو الفارغة فلم يجد لها أثراً.. إنه حي لم يمت.. أتراه حلم.. وارتدى ملابسه.. واتجه إلى مقر عمله..

أخذ الجميع يتأملونه. إنهم يتحدثون عنه بهمس لقد حسم عنه المدير مدة غيابه كما اقتطع للموظف الذي قام بعمله أثناء غيابه الأيام الأربعة من مرتبه.. وثار غاضباً.. قرر المناقشة.. لكن الكلمات الطيبة المعسولة ونظرات العطف هدأت ثائرته.

ولم يتم الزفاف.. لا يدري ما سبب الخلاف.. إنما عاد للبيت ولكن في داخله شيئاً مشروخاً..

– يا ولد هذي ما تبغاك لو أنها صحيح تحبك ما كانت انتقدت تصرفاتك بشكل يدل على عدم اهتمامها..

– تصدق أن أخي البارحة أراد أن يوقع بي؟ لقد كنا ثلاثتنا في القهوة ثالثنا أخو صاحبتي حنان التي قطعت علاقتي بها منذ هاجرنا من مدينتنا في الشمال إلى

الرياض.. ليروي لها حكاية قضاء الوقت لولا إشارتي له.

- إيه رأيك أتوسط لك عند ،جماعة؟ أنت ابن عم نجوى وأنت أفضل من غيرك بها..

كانت أحاديث من هنا وهناك من أصدقاء وأقارب للجميع لم يقابلها بكثير من الابتسام وعدم الاهتمام.

وكان يتابع كل شيء عن قرب..

لم يركب قارب الغضب ولم يجدف إلى الشاطئ الثاني كما حدث في المرة السابقة وبارك للزوجين بين نظرات عدم التصديق والاندهاش..

وخرج ليرقص مع الراقصين.. كان غامضاً في فرحه حتى إن بعض أقاربه أخذوا يراقبون حركاته.. لقد كان رغم غموض فرحه عادياً هادئاً لم يتغير فيه شيء.. لعب البلوت والكنكان.. قام بصب القهوة والشاي للحضور..

وكان واقفاً حتى آخر واحد من المدعوين ومن المشاركين في العمل.. لقد احترق شيء في داخله هكذا شعر وهو يضع رأسه على المخدة في فراشه.. لكن ما هو هذا الشيء لا يدري؟؟ وهزّ رأسه لعله يطرد هذا السؤال من خاطره ووضع المخدة على عينيه وطوقها بذراعيه ونام..

كان ذلك منذ عشرة أعوام. ترسبت الصورة في أعماق خالد الذي تغير كل شيء فيه. لم يعد ذلك الشبح الناحل ولم يعد الإنسان الهادئ غير المبالي إنما بقي مع تلك الصورة التي سرقها لنجوى من بين مجموعة صور وجدها ملقاة على طاولة صغيرة في غرفة الجلوس الداخلية.. يتأملها كل مساء وهو يعود من المقهى أو دار السينما ثم ينام. وهي بجانبه في غرفته.

كان شعوره بالحبّ مبهماً.. أما نجوى فقد أحست بمقدار فقدانها له ولكن ماذا تعمل فعوضت شعورها بالحرمان بالاعتناء بأبنائها الذين رزقت بهم.. وغدت ربة بيت بكل معنى الكلمة إذ ترهل جسمها وغدا الانفعال والعصبية ديدنها لأقل الأسباب.

وتفصل المسافة بين الاثنين كما فصلت الأيام سابقاً ويغادر خالد المدينة في رحلة تدريبية..

ما إن حطت رجله في أرض الغربة حتى وجد نجوى أخرى تزوجها وأخذ مظهره يتغير شيئاً فشيئاً حتى نسي أن هناك يوماً سوف يعود فيه إلى أرض الوطن.




# مازلت أغني موالي

شعر: د. ماجد إبراهيم العامري

الإســـــم الأولُ يُــــسكرني

مــــن خمـــرٍ في غـــيرِ دنــــان

يَحْمِلُــــــني في زورق عطـــــرٍ

يغمرنـــــي في بحـــرِ أمــــاني

* * *

الإســـمُ الثـــاني يَـــسْحَرني

يأســـرني في قَلْـــبِ إِطـــارِ

يبعـــــث إعجَـــابي.. يُطْلقـــه

أكـــبره.. فَـــوْقَ الإِكبـــارِ

* * *

إسمـــك يـــا ســـيّدتي روضٌ

ونخيــــلُ كــــروم ودوالِ

عنــــوان ســـرور وحبـــور

ورمــــوز أطــــلال وجَمــــالِ







شِـــعرُكِ يــــا ملـــــهمتي طـــيرٌ

يتـــــسامى في أَلـــــفِ جَنَـــاحِ

يتهـــــادى فـــــوق ريــــاض

الحـــسن وبـــين سِــماط الأفـــراحِ

*   *   *

في شـــعرك تـــرقُصُ عـــاطفتي

وتمـــــورُ رواكـــــدُ أفكـــــاري

وتجـــيش الـــذكرى في صَـــدْري

وتفـــــيضُ شِـــحاح الأنهـــــار

*   *   *

مـــن شـــعرك أسْـــتَاف عطـــراً

وألم حفيـــــــف الأغـــــــصان

أقطـــــف أزهـــــاراً وثمـــــاراً

أتـــشرّبُ سِـــحْرَ الألـــوانِ

*   *   *

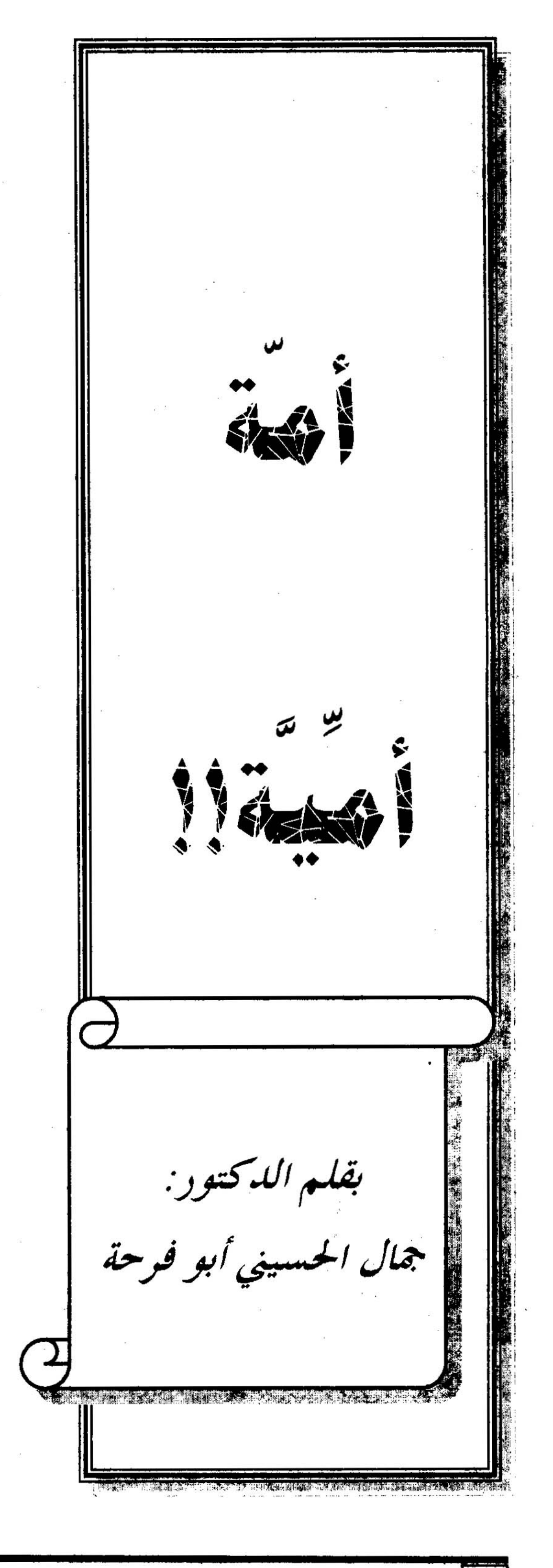
ســـيدتي أحوالـــك أجهلـــها

لكنّـــــي.. أعـــــرف أحــــوالي

مـــن بعـــدِ حـــضورك شـــعريا

مازلـــــت أغنّـــــي مَـــــوّالي




هل نحن حقّاً أمة أمية؟!

يقول النبي ﷺ : (نحن آخر الأمم وأول من يحاسب؛ يقال: أين الأمة الأميـة ونبيهـا؟ فنحن الآخرون الأولون) [رواه ابن ماجة].

ولكن ماذا يعني وصف النبي ﷺ لأمتنا بالأمية؟

هل يعني ذلك أنها لا تعـرف القـراءة والكتابة وستظل هكذا إلى يوم القيامـة حتـى ينادى عليها بتلك الصفة؟ وهل هذا إطراء لنـا أم ازدراء؟.. وهل معنى ذلك أن الإسلام يدعو إلى الأمية لا إلى العلم؟ أو أن الرسول ﷺ قـد أخطأ في وصفه لأمته بذلك؟

كل تلك الدعاوى رددت ومازالت تتردد بين جاهل بلغتنا وإسـلامنا وحـانق عليهمـا وعلينا؛ ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

ونحن إذا رجعنا إلى اللغة العربي لغة النبي ﷺ فسنجد أن كلمة (أمّي) بالإضافة إلـى معناها المتبادر إلى الأذهان بمعنـى الـذي لا يعرف القراءة والكتابة تأتي أيضاً كصيغة نسب

من كلمة (أمة) وكذلك من جمعها (أمم)؛ فكما يوضح علم الصرف فإنه لكي تنسب إلى اسم جمع (جمع تكسير) فالشائع هو النسب إلى مفرده؛ فنقول على سبيل المثال: الاتحاد الدّولي، والاتحاد الطالبي.. الخ.

فكلمة (أمّي) إذاً تأتي بمعنى (أممي) أي المنسوب إلى كل الأمم أي عالميّ، وهذا المعنى هو المقصود الأول من وصف محمد ﷺ في القرآن والسنة بالأمة، ويشهد لذلك كثير من النصوص التي ورد فيها هذا الوصف للنبي ﷺ.

ففي القرآن مثلاً نجد قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].. فنلاحظ أن صدر الآية التي ورد فيها وصف محمد ﷺ بالأمية يتحدث عن إرساله ﷺ إلى الناس جميعاً، أي إلى كافة الأمم وهو ما يرجح أن المقصود بلفظ أميّ هنا هو (أمميّ) أي (عالمي).

وفي حديث آخر نجده ﷺ يقول: (أنا محمد النبي الأميّ، أنا محمد النبي الأميّ – ثلاثاً – لا نبيّ بعدي) [رواه أحمد في المسند]، فنجده ﷺ يربط بين أميته وكونه لا نبي بعده ﷺ ومن هنا نفهم أن مراده ﷺ من أميّته: أمميّته.

ومن ثمة نفهم كذلك أن مراده ﷺ من وصفه لأمته بالأمية، في الحديث الأول: أميتها أي عالميتها بمعنى أنها تحمل رسالة إلى العالم أجمع في كل زمان ومكان؛ وهو ما يؤكد ربطه ﷺ بين وصف أمته بالأمية وكونها آخر الأمم في ذلك الحديث.

ثم إن وصف أمة الإسلام بالأمية لا يمكن فهمه بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة وقد كان قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ [العلق: ١] هو أول ما أنزل على النبي ﷺ ونصوص القرآن والسنة في الحث على العلم وطلبه متواترة مشهورة، أضف إلى ذلك أن وصف أمة الإسلام بالأمية بهذا المعنى يعد مخالفاً للحقيقة التاريخية.




# دموع..

شعر: فهد صالح المهنا

دموع نحن نهمرها..

نذرفها تارة..

نمسحها أخرى

الدمع سيل؛ الحب نهر؛ والسهد بحر

بلا شطآن

العمر سرداب الحياة؛ وقلب يخفق بنبضات..

وريحانة عبيرها ملأ الأفق والكثبان..

أين الحنان.. أين الأمان..؟؟

أين العطاء بلا حسبان..؟

أبصدر أم..

أم بعطف أب..

أم ببقايا إنسان.. إنسان..







قفل الشيخ راجعاً إلى مضرب خيام قومه التي قد ضربت أطنابها على ربوة عالية اصطبغت حصباؤها بلون أرجواني بديع.

كانت الشمس كحسناء أعياها ملل فذبل عودها واهتزّ قوامها واختلط دم وجهها بلونه فبدا مصفراً عسجدياً.. مالت الشمس إلى حالة الراحة من رحلة يوم طويل.

تنقل الشيخ بناظره حول الربوة فإذا بالليل قد أسدل رداءه الأسود على الكون. ليمنح كل غاد ورائح قسطاً من الدعة والسكون.. قسطاً يستبدل به عناء يوم شاق ممل وما هي إلاّ ساعة وقد اجتمع القوم حول نار شيخهم يتحدثون عمّا جرى لكل منهم في يومه من غريب الأمر وعبرته. وعجيب القول وفكاهته. يتنقلون بالحديث كما تتنقل ماشيتهم باحثة عن أطايب العشب وجميل نبته ومنظره.

ويمر حديث القوم تباعاً علهم يستجذبون أطراف أحاديث شيخهم الذي صمت هذه الليلة ولم ينطق ببنت شفة. وقد عرفوه من قبل الواعظ لهم المشنف آذانهم بحلو القول وجميل المنطق. ولكن عبثاً يحاول. فمازالت صيحات وضحكات شبابهم تشق ستار هدوء الليل وسكونه إثاره له واشتياقاً لحديثه حتى آن أوان هجعتهم واشتياق أجفان كل منهم لتسترخي.. تلك الأجسام التي أمضت ذلك اليوم بين كد وتعب وعمل.. فانصرف الجميع وقد رابهم صمت شيخهم لا يلوون من أمره على شيء ولا يتجرؤون على الإقدام عليه بسؤاله عن سبب صمته الرهيب هذه المرة..

وطاف الكرى على الكون فهجع جميع من تحركت في جسده نفس. ونبض بين ضلوعه قلب، وجرى في عروقه دم سوى ذلك الشيخ وأمثاله..

ذلك الشيخ الذي استلقى ولم يلبث أن ضرب بينه وبين النوم ستاراً لا يدري هو نفسه ما سببه.. غالط الشيخ نفسه وأغمض عينيه

مرات ومرات لعل هفوة تأتيه أو غفوة من ذلك السلطان الذي تركه وحده طليقاً دون أسر..

سبح خياله ودارت فيه أشياء وأشياء يفكر وينتقل من خيط إلى خيط في شبكة واسعة الحلقات طويلة لا نهاية لها من التفكير المطلق في هجعة الليل.. الليل الذي لا يشعر بطوله وتمدد ساعاته إلاّ كل قلب سقيم معنى اصطادته وأسرته الأسقام والهموم والمتاعب.. لقد كانت ليلة ليلاء على ذلك الشيخ الذي أمضى العقد الثامن من عمره وزاد عليه سنوات لم تمر به خلاله مثلها..

وفجأةً في الهزيع الأخير من الليل أطلّ القمر مبتسماً ومرسلاً أشعة رقيقة مرهفة إلى كل شبر أمامه.. ويا لشد فرحة الشيخ بوجوده معه يؤانسه ويمضي معه بقية ليلته التي شعر فيها بانقباض في نفسه لا يدري كيف ومع من يستطيع أن يبدد هذا التقلص والإحجام الذي أحس به.. وهاجت شجونه برؤيته للقمر فحياه بنظرة رائعة وتأمل عميق وزاد تأمله في فضاء واسع يشير فيه كواكب كأنها مملكة قد منحت ملكها - القمر - تاجاً مرصعاً بالجواهر واللآلئ.. يسير في هذه المملكة الواسعة فينشر الخير والنور. ويناجيه كل من رآه بقلبه مناجاة الصديق الوفي دونما تكلف أو إجهاد.. وتاه الشيخ بعمق تفكيره إلى أن أحس أنه يناجي القمر قائلاً: أيها القمر يا ملك النجوم ترى هل هجرك النوم هذه الليلة؟ إنني أعرفك من قديم. ألا يدب التعب في أوصالك؟ أين تذهب عندما تغيب؟ لماذا تفارق هؤلاء الذين التفوا حولك وقد أصفوك الجيرة؟ أم أنك لا تهمك كل تلك الأمور فتذهب دون استئذان؟ ولكنك تعود. ألم تر في مسيرك جارنا القديم الذي رحل عنا ولم نعد نسمع بأخباره؟.. لقد سألت سوانح الطير وبوارحها عن مكانه ولكنها لا تجيب..

وهنا بدأت في مخيلة الشيخ حلقة واسعة مبهمة من استعادة صور الماضي البعيد فلقد تذكر يوم أن كانا طفلين يرعيان بجانب الجبل الأخضر قرب الغدير يمسكان صغار الطير في أعشاشها. ويتسلقان أشجار الطلح والسدر بحثاً عنها.. تذكر يوم أن جادت السماء بذلك المطر الغزير فوضعت عليها السيول حصاراً دام يوماً وليلة وهما في مكانهما مع مجموعة أغنامهما ينتظران الرحمة وقد أيقنا بالهلاك..

ومرت بالشيخ لحظات طالما استعطف عجلة الزمن لتمنحه بعض الوقت ليقلب صفحات ماضيه المجيد الذي سجل أسطرها بنفسه يوم أن كان يستظل تحت ظلال سيفه كل من تسرب إلى قلبه خوف أو سرى في أوصاله وجل أو نابه ظلم أو اعتداء.

نعم لقد هجر ذلك السيف غمده سنينا ليست بالقصيرة وصال في صفحات المجد وجال حتى أعيا فكرهه غمده عندما تصببت من جبينه الدماء..

وما هي إلاَّ سويعات عابرة حتى قطع عليه توديع القمر إياه كل ما كان سابحاً فيه ومحلقاً في خياله مع خيوط أشعته الساحرة إلى حيث يبدو الجبل أمامها بعزته وجبروته وقوته فيقطعها عن الوصول إلى الشيخ وربوته وخيامه.. ووجد الشيخ نفسه أمام إطلالة الفجر فإذا بالنور يطارد فلول الظلام وإذا بأصداء أناشيد العصافير تتردد وكأنها سلسلة على صفاة ملساء تقرع الآذان فتملأ النفوس بصوتها ورنينها. وحانت منه التفاتة على أثر وقع أقدام في الغسق.. إنها أشباح مقبلة نحوه تتراءى للناظر وكأنها في اجتماع وافتراق.. رأى تلك الأشباح تتخبط في غلس الفجر فنهض من مضجعه إلى حيث الثلاثة الأشباح التي رأى أقدامها تغوص في رمال الصحراء فتتثاقل بالمسير وما هي إلا بضع خطوات حتى وقف الشيخ أمامها.. إنه لم يصدق نفسه فتحسس بيده عينيه لعله يكون في حلم. لم لا؟؟ وقد رأى رفيق صباه وأنيس وحدته في صغره ابن جارهم الشيخ (ثابت) لقد أتعب راحلته أياماً في سبيل العثور عليه ورؤيته. لأنه من ذلك

اليوم الذي توفي فيه والده لم يعلم بجهته. ولم يعلم إلى أي مربع من مرابع العشب كان مسيره.. لقد حارت في عين كل منهما دموع فرح اللقاء. وكثيراً ما تكون الدموع علامة للفرع عند اللقاء بدل الابتسام وتعانقا عناق الأخوة الأشقاء. وامتلأ قلب الشيخ فرحاً شديداً فبادر إلى إكرام ضيفه وزوجته وابنته وحينما رآهم قد ارتدوا ثياباً رثة ظهر منها أن الفقر والعوز نالهم منه الشيء الكثير فذهبت المواشي وتبدل الحال من الغنى إلى الفقر ومن العز إلى الذل بادر إلى تغيير مظهرهم على الفور بملابس جديدة واستيقظ أهل الحي جميعاً بمن فيهم أبناء الشيخ الثلاثة الذين حيوا جار أبيهم في القدم ورفيق صباه أيام الطفولة – وبالغوا في الإكرام والتحية له والحفاوة به واعتبروه أخاً شقيقاً لأبيهم – والدهم – الذي رأوا منه مبالغة ليس لها حدود في الكرم مع هذا الإنسان حيث عمد إلى ماشيته فأعطى نصفها لذلك الضيف الجديد ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اقتطع له نصف بيته الذي تربع بقية البيوت فظهر في وسطها كأنه علم شاهق بين مجموعة سلاسل جبال وتلال مبعثرة.

ودار الزمن ومرت الأيام تباعا والشيخ لم يأل جهداً في مزيد الإكرام والتقدير لذلك الرجل الذي بادله الحب والإخاء والمودة والصداقة. تلك الصداقة التي لم ينل منها الصدأ على مرور السنين والأيام.. وفي الليالي المقمرة من مساء كل يوم يطيب السمر فيقص كل منهما قصته في أعوامه التي أمضاها دون رؤية الآخر.. حقاً ما أجمل أحاديث العقلاء عندما تشنف الآذان بما حملته صفات الماضي المليء بالبطولات والأعاجيب.

مرت سبعة أعوام بعد مجيء الضيف الجديد فزادت ثروته ونمت ماشيته وعاد إلى الحالة التي كان عليها من الغنى والسعة بفضل الله تعالى ثم بفضل هذا الشيخ الوفي..

وفي ليلة من ليالي الخريف كانت الجوزاء تطل على قمة عالية تتوهج فترسل أشعة باسمة على تلك الربوة أتت إحدى بنات (ثابت) جار الشيخ – إلى أبيها مكدرة الخاطر مكفهرة الوجه باكية العينين.. أتت إلى أبيها بوجه قد علاه شحوب الخجل شاكية إليه أصغر أبناء الشيخ لمضايقته أياها ومحاولة الاعتداء على عرضها مرات ومرات.. إنه الإبن الأصغر الذي وضع الجهل على رأسه علمه وارتكب هواه وأطاع شهوة نفسه وما زين له شيطانه..

انهمرت الفتاة بالبكاء أمام أبيها وهو يهدئ من روعها فتردد الفتاة: لقد وقف لي بالمرصاد في كل يوم ولم أعد أقدر على مقاومته. وقف لي كذئب مفترس يتلمس فرص الهجوم.

صرف الوالد ابنته وقلبه يتقطع من الغيظ على ذلك الشاب المستهتر. وهمّ بأمر ولكن تقدير الشيخ له وفضله عليه ونعمته التي يعيش فيها قد كبلته وألجمت فاه عن مكاشفة الشيخ بالحقيقة لعلمه بأنه لو اطلع على الأمر لفتك بابنه العزيز عليه القريب من نفسه ولكن ما العمل؟ لم يعد الرجل يطيق تلك الحياة التي يرى فيها كرامته توشك أن تداس في التراب..

وبعد النظر في هذا الأمر على مختلف أوجهه قرر في نفسه الرحيل. لم يجد حلاً غير هذا وهو أسلم حل رآه.. ومع تربع الشمس في وسط السماء استأذن الرجل الشيخ في الرحيل إلى دياره زاعماً أن أمطاراً هطلت عليها وعشباً قد عمّ أرجاءها واشتياقاً أقلقه إليها. وقدم له آيات الثناء والتقدير والاعتراف بالجميل وحسن الصداقة وغاية الوفاء..

ألح الشيخ على جاره – ضيف السبع سنين – بالبقاء وبيان سبب عزمه على الرحيل ولكن الإجابة كانت تأتيه في كل مرة بأن الشوق إلى الديار والعشيرة. وعبثاً حاول الشيخ أن يثنيه عن عزمه ويعدل عن رأيه. فلم

يستطع وأحس بحرقة لهذا الفراق وبصدمة لهذا الخبر المفاجئ والقرار السريع.

ومع سويعات الأصيل من اليوم نفسه غادرت القافلة التي تحمل ذلك الجار العزيز بعد وداع حار ودموع غزيرة. وحزن الشيخ حزناً لا مثيل له وعم الحزن كافة رجال ونساء الحي وشبابه بمن فيهم الابن المراهق الذي كان هو السبب المباشر في كل هذا..

استلقى الشيخ على فراشه لينام ولكن ما أشبه الليلة بالبارحة حيث هجره النوم وبدأت أفكاره طوال الليل تجول وتمعن في حادثة الرحيل هذه وأدرك أنه لا بد من سبب لها يكمن خلفها وهو لا يعلمه.. إن يعرف صديقه حق المعرفة فهو الرجل العاقل الحصيف الذي يقدر كل شيء ويحسب لكل حدث حسابه. كانت زوجة الشيخ تراقبه طوال الليل لأنها كذلك لم تنم وبدأت في حديث مع زوجها تهون عليه الأمر وتنتقل به من حديث إلى حديث وأحس الشيخ من حديثها أن رائحة سبب الرحيل تفوح من أحاديثها تلك. فتظاهر لها بعدم اهتمامه بالرحيل هذا خاصة وأن الرجل هو الذي قرره من نفسه وبعد هذا لا يهمه من أمره شيء. وهنا أفضت الزوجة المسكينة بسر هو محور دائرة تفكيره. حقاً ما أصعب كتمان السر على النساء إذا استودعن إياه..

إنها تعرف القصة بكاملها حيث اشتكت إليها ابنة الرجل قبل أن تخبر أباها. فقصتها على زوجها عن حسن نية ولم تقدر عواقبها ونتائجها.

استمع الشيخ إلى زوجته باهتمام فكان حديثها عليه أشد من وقع الحسام وعرف منها تفاصيل القصة وأدرك أنها السبب المباشر لرحيل أعز إنسان عليه وهنا تظاهر لزوجته برغبة عيونه المقرّحة من السهر في النوم وأمرها أن تنصرف عنه وأضمر في نفسه أشياءً وأشياء لأعز ابن عليه وأغلى شيء عنده.. إنه يحب هذا الفتى ويوليه من العناية والحب الشيء الكثير دون أخويه ولكن عاطفة الحب هذه والأبوة سرعان ما تذوب عندما يحس الرجل أن كرامته تهان أو عرض من احتمى بجواره ينتهك. إن الصحراء وتقاليدها لا ترضى هذا وقد ربت في أولئك الناس كل معاني الشهامة والنبل والوفاء والتضحيات.. فماذا يعمل أمام أمر كهذا وهل يرضى خاصة عندما علم بالقصة.

إن هذا لهو البلاء المبين والمصيبة الكبرى. إذاً ما العمل لا بد من التخلص من هذا الشرير. وجاء الصبح وأرسلت الشمس أشعتها على الكون وأخبر الشيخ أولاده أنه عازم على القنص والصيد في هذا اليوم وأن رفيقه في هذه الرحلة هو ابنه الأصغر. وفرح الشاب بذلك أيما فرح ولم يعلم أن القدر له بالمرصاد وأن نهايته قد حانت على يد والده العطوف عليه المحافظ على كرامته والوفي لصديقه وجاره.

وما هي إلاَّ خطوات وخطوات في مكان خال بعيد عن مضرب الخيام حتى سدد الأب ضربته القاضية إلى ابنه فألقته صريعاً.. نعم سقط الشاب صريعا بعد أن أجاب على أسئلة امتحان والده دونما شعور منه وإحساس.. تلك الأسئلة التي أدانته بمحاولات ومحاولات لهتك عرض ذلك الرجل الطيب ومحاولة دوس كرامته وإلقائها في التراب. وعلى الفور بادر الشيخ في وضع ابنه في كيس جثة هامدة لا حراك بها وقد تصارعت في نفسه حنو الوالد وعطفه ووفاء العربي وشهامته. وسالت دمعة ساخنة من عينيه رغم إبائه وصلفه وثورات نفسه وعاد إلى الحي وأخبر أمه بأن ابنها ذهب للقنص والصيد بمرافقة بعض الشباب ولم يعد إلاَّ بعد شهرين كاملين.

صدقت الأم المسكينة الخبر وآمنت به. واستدعى الشيخ ابنه الأكبر وسلمه الكيس الذي بداخله الجثة مع كيس آخر مليء بالدنانير وأخبره أن هذين الكيسين كان أمانة

عنده لجاره الذي رحل بالأمس ونسيهما عنده وحثه على أن يجد في المسير ويسرع الخطى ليلحق به ويسلمهما له ومن ثم يعود في الحال..

وانطلق الفتى على راحلته انطلاقة السهم يكاد يقطع النجاد والوهاد.. انطلق الفتى وشيء واحد يدور في مخيلته ذلك الفرح الغامر الذي سيملأ نفس جارهم عندما يراه وحنوه عليه وابتسامته ومرحه معه دائماً..

لم يدر بخلد هذا الشاب أنه يحمل جثة أخيه الذاهب إلى الصيد.. وتتابعت ساعات المسير دون شعور أو ملل أو إعياء اللهم إلا قطرات من الدموع تنسكب من عيني راحلته. هذه الراحلة التي كأنها عالمة بما تحمل فتسرع الخطى لتؤدي الأمانة قبل أن يصيبها العطب حتى لا يشعر راكبها بالخبر فيحدث ما لا تحمد عقباه.. وواصل الشاب سيره دون أن يريح هذه الراحلة التي لاحظ عليها سرعة عجيبة لم يتعودها منها من قبل. وبعد مسير متواصل وصل إلى جارهم المرتحل قرب بئر ماء يستقي فقابله الآخر بدموع غزيرة بللت لحيته.. لقد عرف القصة لأول وهلة يرى فيها الشاب مقبلاً. وعرف أن السر قد أفشي إلى الشيخ وبفرائص مرتعشة وقلب محطم ونفس منكسرة تسلم الراحلة وما عليها وهدأ من روع الشاب الذي ألح في السؤال عن سبب البكاء والحزن. ولكن الرجل عندما عرف أن الشاب لا علم له بالخبر أجابه أن سبب بكائه ونحيبه هو الشوق إلى والد الفتى والعرفان له بالجميل والوفاء. ولبث الشاب بعض الوقت ودع جارهم وعاد من حيث أتى براحلة أخرى غير الأولى حيث بقيت الأولى بحملها حتى ذهب الشاب..

وهنا تظاهر الشيخ لأهله أن الراحلة وما عليها وديعة عنده منذ سنين وأنه سوف يذهب بها إلى من يحفظها عنده مادام جاره الشيخ قد أرسلها له..

وسار الرجل بالراحلة مسيرة نصف يوم لكي يبعدها عن الأنظار وأناخها وأخرج ما في الكيس ويا لشد هول ما رأى وعظيم مصيبته عندما أخرج الجثة.. لقد بكى بكاء مراً احترق له قلبه وتقطع منه فؤاده. وندم حيث لا ينفع الندم.. ثم واراها التراب بجانب شجرة كبيرة تغرد عليها العصافير البريئة قرب جدول ماء. وعاد بعد ذلك بأجفان مقرحة وجسم قد براه الذهول وأعيته المصائب. وأقام بأهله في واديه المخضر هذا ثلاثة أيام يسهر فيها الليل مع النجوم ويشهد احتراق قلبه لما لاقاه من صدق الوفاء الذي عجز كل العجز عن أن يجد له حدوداً..

وأخيراً وبعد أن قلب الأمر على مختلف وجوهه قرر العودة إلى مرابع جاره الوفي الشيخ المحنك وتحت ستار الليل استيقظ الشيخ فإذا بالقافلة التي سارت قبل بضعة أيام قد أتت تحمل المتاع وتقصر الأبواع وتحط ما عليها.. فيتعانق الرجلان والبكاء والحرقة ويلوم الرجل ذلك الشيخ على عمله ويعترف له أنه الجاني الوحيد على الشاب حيث لم يخبر والده بالقصة بالطريقة الملائمة، ووضع نفسه بين يديه ليقتص منه.. ولكن الشيخ سرعان ما ثارت ثائرته وأقسم على جاره إيماناً غليظة ألا يظهر ذلك الخبر في الحي ويأسران السر فيما بينهما لينتحر على أشواك الصبر وأديم الوفاء..

وعاش الرجلان مع بعضهما عيشة الرجال الأوفياء فزوجا ولديهما ببنتيهما وأظهرا في رجال القبيلة بعد انتهاء الزواج أن شابهما الذاهب للصيد قد أغار عليه أسد فافترسه.. وتمر الأيام لتشهد ضروباً من الشجاعة والوفاء بين هذين الرجلين حتى غادر الشيخ إلى دارة الآخرة.. بعد أن سجل في صفحات المجد أروع مثل في الوفاء وأنبل صفة في الشهامة وأعظم حق في الجوار..




# نفثات شاعر

*شعر: علي أحمد النعيمي*

مُهداةٌ إلى روحَي الفقيدين (أحمد شوقي) و (الأخطل الصغير - بشارة الخوري)

اعترافاً بفضلهما في عالم الأدب، وتقديراً لمكانتهما في دُنيا الشعر..

الأرزُ بَعــدَ شُــمُوخِهِ، وإبائِـــهِ
قَــد عــادَ مُنكــسِراً يَنُــوءُ بدائِــهِ
والأقحــوانُ تــضاءَلَت نفحاتُــهُ
والزَّهــرُ صَــوَّحَ بعــدَ حُلــوِ رُوائِــهِ
والبلبــلُ الــصَّدَّاحُ عــادَ نَــشيدُهُ
شَــجواً.. وأخــرسَ عــن لذيــذِ غِنائِــهِ
والمُنتَــدى قــد أقفَــرت عرصــاتُهُ
وتفــرَّقَ البــاقونَ مــن جُلَــسائِهِ

* * *

أيــنَ الأمــيرُ يَــصُولُ في جَنَبَاتِــهِ
ويَــصُوْغُ دُرَّ القَــولِ في أبهَائِــهِ؟!
ويُطــارِحُ القُرَنــاءَ في أفكــارهم
فيفــوقُ مزهُــوّاً علــى قُرنائِــهِ؟!
أوحَــت لَــهُ (الــشِّعرى) بفيضِ جمالهــا
وكُنوزِهــا، وهفــت إلى إيحائِــهِ
كــأن الأمــينَ علــى التُّــراثِ يَــصُونُهُ
مــن كيــدِ حاسِــدِهِ.. ومــن أعدائِــهِ
وهــو الجهــيرُ إذا تــصدَّرَ شــاعِراً
أو خاطِبــاً في الجمــعِ مــن نُظَرائِــهِ







وهــوَ الــوفيُّ لــصحبِهِ، ولِفَنِّــهِ
وبغَــيرِ مــا يرضــاهُ لــيسَ بفآئِــه
مــا (ســائلِ العَليــا) ومــا أخواتُهــا
للعُــربِ.. إلاَّ شــامةٌ لوفائِــهِ

إن كــان (شَــوقي) قــد تَربَّــعَ مُــدَّةً
للــشِّعرِ عرشــاً، وارتقــى لــسمائِهِ
يُعلــي منــارَ (الــضَّادِ) يُرســي جاهِــداً
لَبِناتِــهِ.. فــالخيرُ في إرســائِهِ
هِمَــمُ الرِّجــالِ مَقيــسَةٌ بفعــالِهم
وتُراثُــهُ يــروي جميــلَ بلائِــهِ
لم يبــقَ دَربٌ ســاطِعٌ، أو مُظلِــمٌ
إلاَّ أغَــذَّ الــسَّيرَ في أجزائِــهِ
غَنَّــى؛ فغنَّــى الشَّرقُ مــن رَجــعِ الــصَّدى
وبكــى؛ فــأبكى الــشَّرقَ صِــدْقُ بُكائِــهِ
وَجَــدَ الحيــاةَ مــع الطفولــةِ عالَمــاً
حُلــواً تَغيــبُ الــنَّفسُ في أنحائِــهِ
ونمــى الــصَّغيرُ، وشَــبَّ عــن طــوقٍ إلى
دُنيــا الــشَّبابِ.. ففــرَّ مــن أضــوائِهِ
وأكــبَّ ينهَــلُ مــن ينــابيعِ الــرُّؤى
حتّــى ارتــوى.. فأفــاضَ مــن إنــشائِهِ
وغــدا بــه (عَبّــاسُ) (ســيفاً) ثانيــاً
وغــدا لـِ (أحمــدَ) بَعــدُ مِــن أبنائِــهِ







لكنَّـــهُ كـــان الحيـــيَّ وهـــل بـــذا
عيـــبٌ.. وسِـــحرُ الفـــنِّ في اســـتحيائِهِ؟!
وأتـــى المـــشيبُ فلـــم يجـــد مـــن حولـــهِ
غـــيرَ الأســـى.. فـــالنَّفيَ عـــن أحيائِـــهِ
وإذا بــــ (شـــوقي) راحـــل عـــن أيكِـــهِ
وإذا بـــ (قـــيسٍ) تـــاه عـــن حـــسنائِهِ
وإذا بـــــه يُلقـــــي عـــــصا تـــــسياره
في مـــوطنٍ كـــم قـــد هفـــا للقائِـــهِ؟!
في مـــوطنٍ مـــازال يـــذكُرُ (طارقـــاً)
و (الـــصَّقرَ) خفَّاقـــاً بِحُـــرِّ فـــضائِهِ!!
يتأمَّـــلُ الأطـــلالَ، وهـــي مواثِـــلُ
تحكـــي جـــلالَ المَجـــدِ في غُلُوائِـــهِ
يتفـــرَّسُ الـــدَّاراتِ أيـــنَ بُناتُهَـــا
و (القـــصر) أيـــن الـــصيدُ في أفنائِـــهِ؟!
كـــانوا، فبـــانُوا غَيْـــرَ شـــيءٍ لم يـــبن
مـــازال يهـــدي الغـــربَ ومـــضَ ضـــيائِهِ
إن كـــان (شـــوقي) عـــاشَ لحنـــاً خالِـــداً
فينـــا، وعـــمَّ الكـــونَ مـــن لألائـــه
فلقـــد أتـــى مـــن بعـــد (شـــوقي) (أخطـــلُ)
يحـــدو ركـــابَ الـــشِّعرِ مثـــلَ حُدائِـــهِ
جعـــل (الهـــوى) صنوَ (الـــشَّبابِ) وضمَّ مـــن
فنَّيْهِمَـــا مـــا نـــدَّ عـــن زُملائِـــهِ
مـــا (المجمـــعُ العلمـــيُّ) ينـــسى فـــضلهُ
للـــضّادِ.. وهـــو يـــصولُ تحـــت لوائِـــهِ







عـــضواً يـــسيرُ مـــع الجماعـــةِ جـــاعِلاً
آراءَهُـــم لم تعـــشُ عـــن آرائِـــه

* * *

يـــا ذكريـــاتِ الفـــنِّ يجلُوهـــا الـــسَّنى
الفـــنُّ للـــشَّادي رفيـــعُ غذائِـــهِ

نفـــسي تَـــذُوبُ كأنَّمـــا قـــد لفَّهـــا
عـــبرَ الـــدُّنا ليـــلُ الأســـى بردائِـــهِ

حـــظُّ النُّفـــوسِ الطَّامِحـــات مِـــرارةَ
ولكـــم تَرَفَّـــهَ ذو الغَبـــا بغبائِـــهِ؟!

مـــالي أرى الـــشُّعراءَ قـــد ألـــوت بهـــم
دعـــواتُ تجديـــدٍ لـــشكلِ بنائِـــهِ؟!

فتجـــاهَلوا قمـــم (الخليـــل) ولملمـــوا
مـــا يـــستحي الطَّـــلابُ مـــن إملائـــه

حـــسبوه شـــيئاً نافعـــاً.. فـــإذا بـــه
زَبـــدٌ خلاصـــته رديء جُفائِـــهِ

ســـلبوا مـــن الـــشِّعرِ الرَّفيـــعِ سماتـــهِ
والعـــودُ يـــذبُلُ بعـــد نـــزعِ لحائِـــهِ

* * *

يـــا شِـــعرُ يـــا لحـــنَ الوجـــودِ متـــى نـــرى
إيقاعَـــكَ الـــسَّامي، وعمـــقَ صـــفائِهِ؟!

ومتـــى تعـــودُ لـــك الوضـــاءَةُ والـــسَّنا
والكُـــلُّ يمـــتَحُ منـــكَ وســـطَ إنائِـــهِ؟!

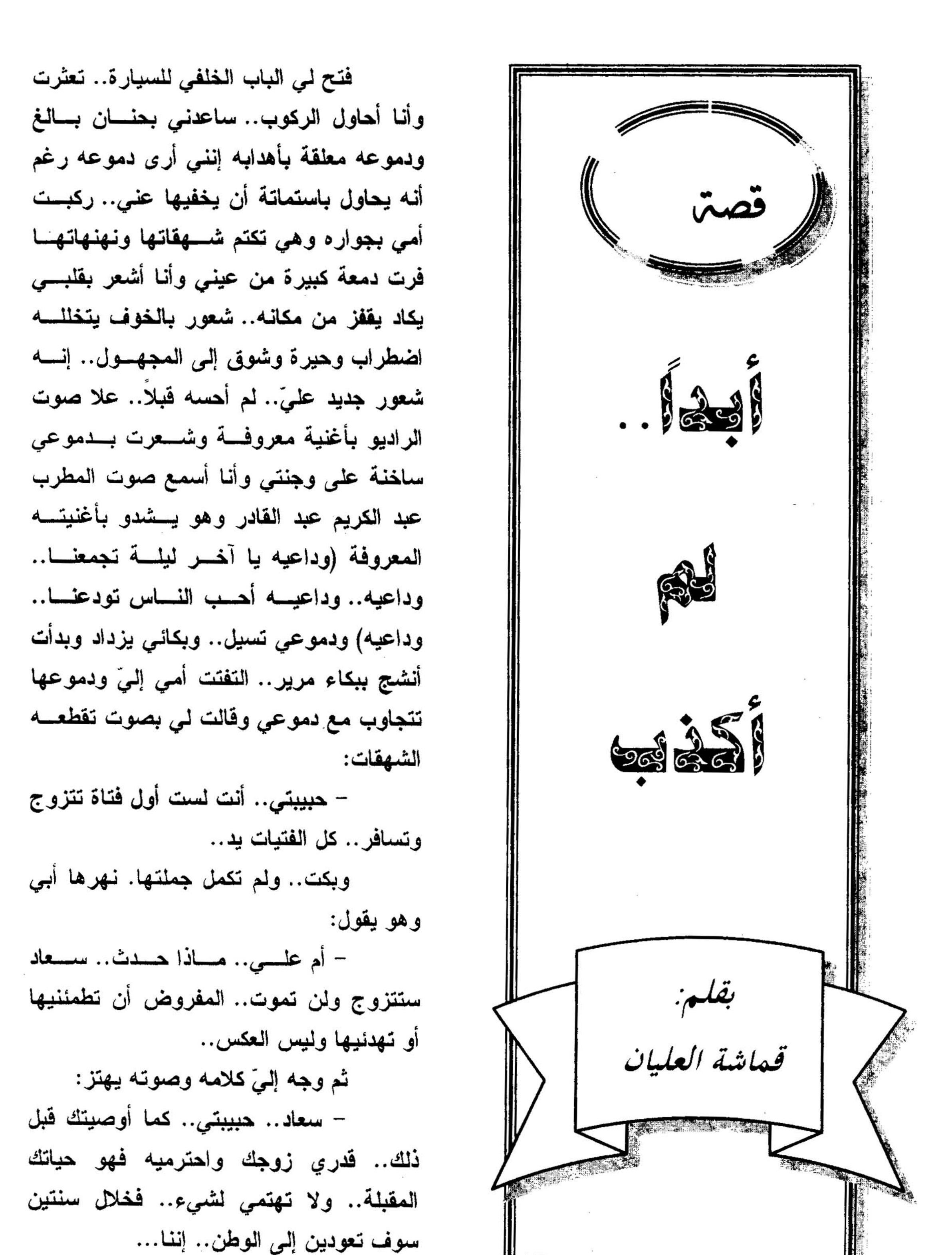





كُلٌّ يُريدُكَ حِبَّهُ، ونديمَهُ
ولأنتَ أعظمِ من غُرورِ التَّائهِ
ما مَدَّ أسباباً إليك مُلفِّقٌ
أو جاهِلٌ إلاَّ أُصيبَ بدائهِ
الشِّعر صَعبُ المُرتقى إلاَّ على
من مارسَ الطَّيرانَ في أجوائِهِ
ما حاطبُ الليلِ البهيمِ إذا التقى
في ساحهِ الجمعانِ، أو هيجائِهِ
إلاَّ امرؤٌ أقعى يُطقطقُ يائساً
ويُطيلُ في التَّفكيرِ من إعيائهِ
وغدا يُنمِّقُ بالفواصلِ شِعرهُ
ليسودَ - بين رجالِهِ - بغُثائِهِ
ما كُلُّ من عرف البحورَ بشاعرٍ
أو كلُّ من غنى سما بغنائِهِ!!
أو كلُّ من أدلى ببئرٍ دلوهُ
عادت له بالماءِ من إدلائهِ
إنِّي ليحزنُني تعشُّقُ بعضهم
محرابَهُ، والحومُ حولَ خبائِهِ
(شوقي) جزاكَ الله واسعَ رحمةٍ
وحباكَ في الأخرى بفيضِ عطائِهِ
واهنأ (بشارةُ) بالذي قدَّمت من
عملٍ سيبقى شامخاً ببهائهِ
وإليكُما من شاعرٍ نفثاتِهِ
مصحوبةً بثنائِهِ ودُعائِهِ







قصة

# أبداً.. لم أكذب

بقلم:
قماشة العليان

فتح لي الباب الخلفي للسيارة.. تعثرت وأنا أحاول الركوب.. ساعدني بحنان بالغ ودموعه معلقة بأهدابه إنني أرى دموعه رغم أنه يحاول باستماتة أن يخفيها عني.. ركبت أمي بجواره وهي تكتم شهقاتها ونهنهاتها فرت دمعة كبيرة من عيني وأنا أشعر بقلبي يكاد يقفز من مكانه.. شعور بالخوف يتخلله اضطراب وحيرة وشوق إلى المجهول.. إنه شعور جديد عليّ.. لم أحسه قبلاً.. علا صوت الراديو بأغنية معروفة وشعرت بدموعي ساخنة على وجنتي وأنا أسمع صوت المطرب عبد الكريم عبد القادر وهو يشدو بأغنيته المعروفة (وداعيه يا آخر ليلة تجمعنا.. وداعيه.. وداعيه أحب الناس تودعنا.. وداعيه) ودموعي تسيل.. وبكائي يزداد وبدأت أنشج ببكاء مرير.. التفتت أمي إليّ ودموعها تتجاوب مع دموعي وقالت لي بصوت تقطعه الشهقات:

– حبيبتي.. أنت لست أول فتاة تتزوج وتسافر.. كل الفتيات يد..

وبكت.. ولم تكمل جملتها. نهرها أبي وهو يقول:

– أم علي.. ماذا حدث.. سعاد ستتزوج ولن تموت.. المفروض أن تطمئنيها أو تهدئيها وليس العكس..

ثم وجه إليّ كلامه وصوته يهتز:

– سعاد.. حبيبتي.. كما أوصيتك قبل ذلك.. قدري زوجك واحترميه فهو حياتك المقبلة.. ولا تهتمي لشيء.. فخلال سنتين سوف تعودين إلى الوطن.. إننا...

وصمت.. وطال صمته. ثم قال بصوت حزين:

- إننا سوف نحتمل فراقك فأنت لن تموتي.. فافرحي يا ابنتي وعيشي حياتك.

وقفت السيارة أمام باب صالون التجميل.. نزلت أمي وهي تمسح دموعها الكثيرة.. نزلت معها وأنا أمسح دموعي بظهر كفيّ.. تكلم أبي:

- سعاد.. أخوك علي سوف يحضر ليأخذكم إلى الفندق.. أنا سأكون مشغولاً.. لا تنسي وصيتي..

تمتمت بكلمات خافتة وأنا أغادر السيارة.. شعور غريب يجتاحني.. خليط من الفرح والحزن والخوف. ودقات قلبي تتسارع مع دقات الساعة.. والعاملات مجتمعات حولي.. تلك تدلك لي قدميّ. وأخرى ترتب لي شعري.. وأخرى تضع بعض اللمسات على وجهي..

أرقب أمي من طرف خفي.. إنها لا تزال تبكي.. وجهها محمر وعيناها دامعتان وأنفها متضخم.. يا لها من إنسانة طيبة.. إنني أحبها لدرجة الجنون.. وهي تحبني أكثر مما تحب بقية أخواتي..

في العاشرة تماماً كنت جاهزة.. ونظرات الإعجاب تحيط بي من كل مكان.. وصوت أمي يأتيني مرتجفاً حزيناً وهي تقول:

- أنت تبدين أكثر من رائعة يا حبيبتي.. إنك أجمل عروس رأيتها في حياتي..

ضحكت مصففة الشعر وهي تقول بمرح:

- كل أم تقول هذا عن ابنتها..

وأنا كنت بعيدة عنهما.. هناك مع أحلامي وآمالي في دنيا غريبة حائرة.. رأيته هو زوجي.. لم تكن المرة الأولى التي أراه فيها.. فقد رأيته قبل ذلك حينما جاء لخطبتي.. أمسك بيدي ونحن نغادر الفندق في طريقنا إلى المطار.. لوحت بيدي مودعة الجميع.. دموعهم تتلألأ حولي كالأضواء الخاطفة.. إنهم جميعاً يبكون.. ترقرقت الدموع في عيني فمسحتها بسرعة فقد أوصتني عاملة الماكياج أن أتماسك وألاّ أبكي.. وقد صمدت طويلاً ولم أبك.. طوال السهرة.

في الطائرة المتجهة إلى لندن جلسنا في مقعدين متجاورين.. والجميع ينظرون إلينا بتطلع وإعجاب..

اقترب مني هامساً.. جفلت وابتعدت عنه بسرعة.. ولكنني سمعته يتكلم:

- أريد أن أسألك وأرجو أن تجاوبيني بصدق وصراحة..

همست بصوت خافت:

- تفضل..

علا صوته قليلاً وهو يقول:

- ألم يكن في حياتك رجل آخر قبلي.؟

أخرسني سؤاله.. فلم أكن أتوقعه أبداً.. وتذكرت.. تذكرت الماضي البعيد.. إنه ليس ماضياً.. إن ما حدث منذ خمس سنوات فقط..

طلبت من أمي أن أذهب لاستذكر دروسي عند صديقتي ليلى.. لم تمانع أمي كعادتها.. فقد كانت واثقة مني ومن حسن تصرفاتي ولم يحدث أبداً أن خنت ثقتها هذه..

في بيت صديقتي ليلى جلسنا نستذكر معاً.. ثم استبد بنا الملل والزهق من الدروس.. صرخت ليلى فجأة:

- سعاد.. ما رأيك أن نلهو قليلاً.. نتسلى عن طريق الهاتف.؟

جزعت فأنا لم أتعود على ذلك ولم أحادث أي رجل طوال حياتي.. لا عن طريق الهاتف ولا غيره.. رددت عليها بجفاء يغلبه ترددي:

- أنت تهذين بلا شك.. فأمي تقول إن اللعب بالهاتف خطر..

قفزت ليلى من مقعدها وهي تجذبني بيدها نحو الهاتف وقالت:

- دعينا من ترهات هؤلاء العجائز.. تعالي..

وأدارت رقماً عشوائياً بأصابعها اللاهية.. وأنا أتابعها بقلق وترقب.. ضغطت على مكبر الصوت.. سمعت صوته.. شاب.. أي شاب.. أراها تحادثه دون خوف.. دون خجل.. ثم ألقت السماعة في حضني.. رددتها لها بسرعة.. رمقتني بنظرة استهزاء وضحكت قائلة:

- أنت جبانة.. خذي جربي..

تناولت منها سماعة الهاتف وأنا أرتجف.. ترهبني بداية التجربة وتدفعني لذة المغامرة.. كلمته بضع كلمات.. سألني عن اسمي.. ترددت. أشارت لي ليلى بأن أقول له أي اسم مزيف، اخترت له اسماً عشوائياً.. كذلك هو أعطاني اسمه هشام.. ثم قال بأنه يريد فتاة واحدة لتحادثه.. لا اثنين.. غمزت لي ليلى بأنني أنا المقصودة.. فرحت.. سحرتني كلماته الحلوة.. أشعرتني بانني احلق فوق السحاب وأطير بين النجوم.. لفحتني حرارة الحب الكاذب.. فبدأت أهيم في عوالمه الخيالية.. أصبحت أكلم هشام مرتين في اليوم.. مرة عند عودتي من مدرستي ظهراً.. وأخرى في الليل عندما ينام جميع أهل البيت.. كنت أنتظر إلى جانب الهاتف حتى يرن ثم أسمع الإشارة المتفق عليها بيننا.. ونستمر نتحدث طوال الليل وحتى الفجر.. شربت من عالمي هذا حتى الثمالة.. فعشت فيه.. ونسيت دروسي.. وأهملت نفسي.. وابتعدت عن صديقاتي.. حتى ليلى ابتعدت عنها خوفاً من أن تخطفه مني..

وفي أحد الأيام طلب هشام أن يراني.. رفضت.. أصرّ في طلبه.. طلبت منه مهلة للتفكير.. أنا جميلة.. وأعرف أنني جميلة.. ولكن ماذا لو رآني.. ماذا سيحدث بعد ذلك.. ربما كان يلهو.. أو..

كم تقف العادات والتقاليد كحجر عثرة أمامي فلا أستطيع أن أتخطاها.. رفضت طلبه.. ثار.. وهدد وتوعد.. ثم قاطعني ولم يعد يحادثني بعد ذلك..

أحسست بالفراغ يحطم حياتي بعد أن كان هشام يملؤها.. حتى في انتظاري له كنت مشغولة.

لكن الآن.. فراغ.. وملل.. وعذاب.. فأنا أحبه.. وأشتاق لصوته كثيراً.. اتصلت به ورجوته أن يعود لي.. بكيت له في الهاتف.. كرر طلبه السابق.. صارحته بخوفي.. تنازل قليلاً وطلب الصورة.. صورتي.. فكرت.. واحترت.. ثم قررت.. وأعطيته صورتي..

أجمل صورة لي.. قضيت ليلة كاملة وأنا أختارها من بين الصور..

أوقف سيارته في مكان بعيد عن مدرستنا وأسقطتها في سيارته. ومضيت مبتعدة وكأن شيئاً لم يكن..

في نفس الليلة حادثني.. وأسمعني أجمل عبارات الحب وأرقها.. قال إنه لم ير فتاة في مثل جمالي أبداً.. غضضت عيني على كلماته وأنا أحلم بليلة زفافنا وكيف تكون.

ولم تمض أيام حتى طلب أن يراني.. ولكن قلت له ضاحكة:

- الصورة عندك.. ألا تكفي.. انظر إليها حتى تشبع..

ولكنه رد عليّ بصوت غريب لم أعهده منه:

- سعاد.. أريد أن أراك.. ضروري.. أنتظرك في نفس المكان..

صرخت فيه ولأول مرة:

- هشام.. هل جننت.. آسفة لا أستطيع..

وبدأ يهددني.. ويبتزني بالصورة التي يملكها.. وقتها فقط عرفت أنه إنسان نذل.. دنيء لا يعرف من الحب سوى اسمه.. أسقط في يدي ولم أعرف كيف أتصرف.. فلجأت إلى صديقتي ليلى وأخبرتها بكل شيء.. ولكنها هزت كتفيها قائلة:

- ولمَ لا.. قابليه.. فربما هو يريد أن يتزوجك حقاً..

أذهلني جوابها.. فلم أرد عليه.. ولجأت إلى أمي.. الصدر الحنون. بكيت على صدرها ورويت لها كل شيء.. ضمتني بحنان وحب وهي تقول:

- دعيه لي..

في نفس الليلة حادثت هشام وأمي إلى جواري.. بادرني بلهفة:

- سعاد.. أخيراً وافقت.. متى أراك.

تحدثت أمي إليه:

- نحن الذي يشرفنا أن نراك في بيتنا يا أستاذ هشام..

أغلق السماعة في وجه أمي.. ولم أسمع صوته أبداً بعد ذلك..

كانت تجربة مريرة في حياتي. علمتني أشياء كثيرة.. ولكنني خرجت منها أقوى مما كنت.. وأكثر خبرة.. وأفضل بكثير من سعاد الأولى..

وتمر السنوات وأبتعد عن صديقتي ليلى.. وأنسى كل شيء وكأن شيئاً لم يكن. ولكن.. إنه زوجي.. يسألني هذا السؤال في يومي الأول معه.. لن أكذب.. فإن ما فات لا يمكن أن يعد حباً حقيقياً فهو لم يمس قلبي إطلاقاً.. كذلك هشام لم يكن رجلاً أبداً.. لذلك فأنا واثقة من نفسي عندما أرد على سؤال زوجي الذي ينتظر الرد على أحر من الجمر..

نظرت في عينيه مباشرة وأنا أهمس متعثرة بحيائي:

- أبداً لم يكن في حياتي أي رجل قبلك.. أنت الأول والأخير أيضاً..

ابتسم بسعادة وابتسمت معه....




# حنين إلى نجد..

شعر: محمد مقبل العيسى

غرامـــي.. والهـــوى لربـــوع نجـــد!!

وهـــل يحلـــو الثـــرى.. في غـــير نجـــد؟!

وشـــوقي.. للـــصبا فيهـــا.. وليـــل

يجـــود بنفحـــة.. وهـــزيم رعـــد!!

ربـــوع.. كـــان لـــي فيهـــا مَـــلاب *

لـــدى شـــيح وقيـــصوم.. ورنـــد!!

لـــدى زهـــر الأقـــاح.. وقـــد توشـــت

بـــه الكثبـــان.. في ســـبح ووهـــد!!

فأطيـــاف الربيـــع.. الطلـــق فيهـــا

يزيـــد صـــبابتي.. ويطيـــل وجـــدي!!

* * *

فـــأين. عرارهـــا مـــني شميمَـــا

كأنفـــاس..الربيـــع المـــستجد.؟!

وأيـــن غـــديرها.. يبقـــى شـــهوراً

لـــري منيحـــة.. وعنـــاق دعـــد؟!

وأيـــن جمالهـــا الفتـــان.. مـــني؟!

ومـــشبوب الغـــضا.. في كـــل رفـــد؟!






وأيــــن.. مناخـــة تـــأوي.. وتبـــدي

أصــول مـــروءة.. وهبـــوب ســـعد؟!

إذا أعيـــا المطـــي سمـــوم قـــيظ

أبلـــت كبـــده.. بـــصفاء ورد!!

وإن.. جـــار الزمـــان عليـــه يلقـــى

صـــدوراً.. لم تـــبح يومـــاً بـــسد!!

* * *

ســـخاء.. رغـــم إعـــسار.. وبـــذل

هـــو الإيثـــار.. مـــن كـــرم وود!!

بنفـــسي مـــن هـــوى نجـــد جـــذور

روت.. عـــشقي. وأشـــقتني بـــصد!!

فكـــم.. عانيـــت مـــن عـــشقي.. ابتعـــاداً

وجـــرح القلـــب.. مـــن صـــد وبعـــد!!

وقلـــبي.. عاشـــق مـــا حـــن.. إلاّ

لنبـــل شمائـــل. وعطـــاء مجـــد!!

فيـــا لـــي مـــن صـــدى نجـــد.. ويـــا لـــي

مـــن الإقفـــار.. والـــزمن الألـــد!!

تـــذكرت الحيـــاة بهـــا.. فـــأدمى

جروحـــي البعـــد عنهـــا.. والتحـــدي!!

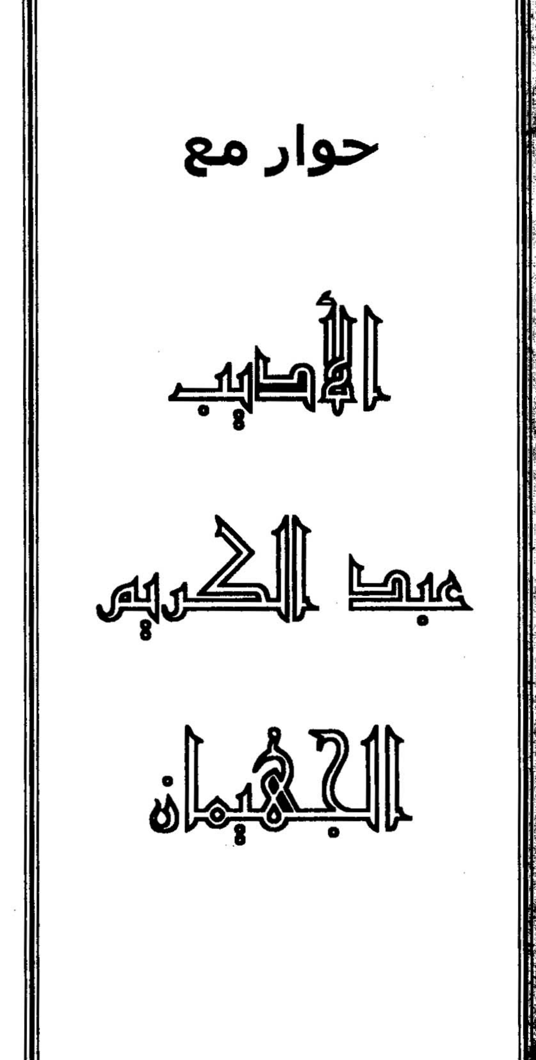
وطالـــت غـــربتي عنهـــا.. لأشـــقى

بأعـــصار الحيـــاة.. المـــستبد!!

فكنـــت الكـــف.. لم يظفـــر بعطـــر

وكنـــت الـــسيف لم يهنـــأ بغمـــد






كلما التقيته في مجلسه الأسبوعي الذي يعقده في منزله ألفيته محاطاً بأصدقائه ومحبيه، يصغي إلى أحاديثهم، ويجيب عن استفساراتهم، ويعلق في بعض الأحايين على بعض الموضوعات أو القضايا التي تثار في الجلسة.

ذلكم هو الأديب والصحافي الأستاذ عبد الكريم الجهيمان أحد رموز الأدب والفكر والثقافة في بلادنا، ومن الذين ناضلوا كثيراً في سبيل رفعة وطنهم، فقد ذهب إلى المنطقة الشرقية وأصدر صحيفة (أخبار الظهران) وهي أول صحيفة تصدر في المنطقة الشرقية، كما أشرف على صحيفة (القصيم) في أواخر السبعينيات الهجرية، وكان يكتب زاوية بعنوان (المعتدل والمايل). وقد جمع معظم ما كتبه في هاتين الصحيفتين في كتابيه (دخان ولهب) و (آراء فرد من الشعب).

تلقى الأستاذ الجهيمان تعليمه في مكة المكرمة وكان من أوائل الطلبة الذين التحقوا في المعهد العلمي السعودي في مكة، وبعد تخرجه عمل معلماً في مدرسة المعلاة في مكة المكرمة، ثم انتقل معلماً في مدرسة البعثات وبعد ذلك عاد إلى نجد وأسس مدرسة في الخرج، ثم انتقل إلى مدرسة أنجال ولي العهد الأمير سعود آنذاك (الملك سعود رحمه الله).

في شهر شعبان المنصرم افتتح الأستاذ الجهيمان نشاطات الأيام الثقافية في مركز الملك فهد الثقافي بمناسبة احتفاء المملكة باليوم الوطني السادس والسبعين الذين نظمته وكالة وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية.

وبهذه المناسبة أجرينا معه هذا الحوار الذي تطرق فيه إلى العديد من القضايا الأدبية، كما تناول بعض المحطات المهمة في حياته..

• كيف تصف لنا شعورك عندما كرّمتك وزارة الثقافة والإعلام في افتتاح الأيام الثقافية في مركز الملك فهد الثقافي بمناسبة اليوم الوطني للمملكة؟

** في الحقيقة سررت كثيراً بهذه الدعوة الكريمة، وهذا الاجتماع والتقارب والتواصل بين المثقفين، ومثل هذه المناسبات ينبغي أن تستغل لتقارب الأفكار والبحث عن الأصلح في طريق حياتنا واجتماعاتنا، وكذلك التواصل في سبل الخير والدعوة إلى التآلف والوئام ونبذ التفرق والأفكار الشاذة التي تفرق الشعب وتبدد قواه الفكرية والمعنوية والدينية.

والإنسان لا بد أن يحب لإخوانه ومواطنيه الخير وسلوك الطريق السوي، الذي يؤدي إلى النجاح في الدنيا والآخرة وإلى السمعة الطيبة والحديث الصادق عن كل ما يمسّ مصالح البلاد والمواطنين.

• عملت معلماً في المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة وفي مدرسة تحضير البعثات.. كيف تصف لنا واقع التعليم في ذلك الوقت؟ وماذا عن تجربتك في تدريس أنجال الأمير عبد الله ابن عبد الرحمن (رحمه الله)؟

** كان هناك إقبال من الشباب على التعليم في ذلك الوقت، وكان الهدف العلم وليس من أجل الحصول على الوظيفة، ومع ذلك فالبلاد كانت في أمس الحاجة إلى المتعلمين؛ لأن أي مواطن يتعلم يكون شمعة في بلده تضيء الطريق الصحيح.

أما عن تجربتي في تدرس أنجال الأمير عبد الله بن عبد الرحمن - رحمه الله - فقد بقيت معلماً لأنجاله خمس سنوات. والواقع أنني عشت في كنفه وفي تعليم أنجاله مدة تعد من أجمل أيام العمر. وأؤكد أن من أنجب أولاده وأصلحهم الأمير عبد الرحمن الذي كان يدرس مع إخوانه وفي الوقت نفسه يحرص على حضور مجالس العلماء في المسجد، ومن أكبر العلماء في ذلك الوقت الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي العام في المملكة، وكذلك دروس الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم الذي كانت له حلقة خاصة في المسجد، فكان الأمير عبد الرحمن لا يقنع بالتعليم الرسمي في المدرسة التي أنشأها والده، وإنما يضيف إليها مجالسة العلماء ورجال الدين.

• أصدرت صحيفة (أخبار الظهران) عام ١٣٧٤هـ حدّثنا عن الدور التنويري الذي اضطلعت به هذه الصحيفة في وقت كان فيه المثقفون قلّة؟ وكيف كانت نظرة الناس إلى الصحافة يومئذ؟

** صحيفة (أخبار الظهران) كانت أول صحيفة تصدر في المنطقة الشرقية. وفي الواقع أنها على ضعف الإمكانيات وندرة الكتاب والمفكرين في المنطقة الشرقية كانت نافذة للمواطنين يطلون من خلالها على الآخر، كانت تهدف دائماً إلى اجتماع الكلمة وتوحيد الأمة وعدم التطرف في أي أمر من أمور الحياة أو الدين، فخير الأمور أوسطها.

ودائماً نحثّ على التواصل والمحبة وعدم الخلاف والتناحر سواء في أمور حياتنا الاجتماعية أم الدينية أم في العقيدة كذلك، فأهم شيء عندنا العقيدة؛ لأنها الأساس وأن ندين بما دان به السلف الصالح الذين سبقونا بالإيمان، ودائماً نحاول أن نقتدي بهم ونحتفي بسيرهم العطرة وندعو إلى التخلق بأخلاقهم الكريمة، فهم خير الأمة وقادتها في الدنيا والآخرة.

أما بخصوص الشق الثاني من سؤالك، فالواقع كانت المنطقة الشرقية منطقة عمال والمثقفون فيها قلة، لكن هذا لا يمنع من وجود بعض الاشتراكات من بعض الأفراد الذين يحرصون على متابعة الصحيفة ومعرفة أخبار البلاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وقد وجدنا من بعض هؤلاء العمال من يغذيها بالعديد من المقالات والبحوث الرصينة.

• يسترعي انتباه القارئ لمؤلفاتك مثل: آراء فرد من الشعب، ودخان ولهب، وأين الطريق.. أنك كنت غير راض عن الأوضاع الثقافية والاقتصادية والاجتماعية إذ ذاك.. فهل تحقق كل ما كنت تطالب به في مقالاتك؟

** أنا كنت آمل أن يتحقق كل ما دعوت إليه في مقالاتي المتواضعة، ولكن لا بد أن يكون لها أثر في كثير من النفوس الطيبة التي تبحث عن الأصلح والطريق السوي في دنياهم ومجتمعاتهم واقتصاد بلادهم ومنافعها بشكل عام.

لا شك - إن شاء الله - أن صار لها بعض التأثير ولن أبالغ وأقول كل التأثير، والإنسان عليه أن يسعى، (وعليَّ أن سعى وليس عليَّ إدراك النجاح).

وأذكر أنني كتبت بعض المقالات في (القصيم، واليمامة، وأخبار الظهران) وغيرها عن مختلف الوزارات، وكنت حاداً في نقدي، وقلت لهم ما أعتقد أنه في صالحهم وصالح بلادنا وشعبنا، قلت أفكاراً فردية قد تكون صائبة وربما يكون فيها بعض المبالغة الاندفاع، فإذا ضعفنا أو تواكلنا سبقتنا الأمم والشعوب وبقينا متخلفين وهذا الشيء لا نريده، الإنسان يسعى لأن يكون قدوة كما يجب أن يكون طريقه في حياته طريقاً واضحاً لا لبس فيه ولا تقلبات.

• يعيب عليك أحد الباحثين، ولعك بالسجع والاستطراد، فما سبب جنوحك إلى هاتين النزعتين؟

** السجع والاستطراد تأثرت بهما من كثرة قراءاتي للكتب ولبعض المغرمين بالسجع والاستطراد، فتأثرت ببعضهم فكنت أحاول تقليدهم ومحاكاتهم في بعض الموضوعات، إضافة إلى ما انطبع في ذاكرتي من هذين الأسلوبين، وأنت تعرف أن الكاتب يؤثر ويتأثر.

• حدثت بينك وبين الأستاذ حسين سرحان - رحمه الله - مناوشة أدبية حول رحلته إلى المدينة المنورة.. هل شعرت بالندم لخوضك مثل هذه المناوشة التي لم تضف شيئاً للأدب؟

** لا.. لم أشعر بالندم فقد مضت كل المناوشة العابرة وكأنها لم تحدث حتى إنني التقيت الأستاذ حسين سرحان - رحمه الله - في بيروت وهو يطبع أحد داوينه الشعرية، أظنه ديوان (أجنحة بلا ريش) كان يطبعه له الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - وأتى هو إلى بيروت بإلحاح من الشيخ حمد للإشراف على طبع ديوانه وتنسيقه وإخراجه، فالتقيته وكأن شيئاً لم يكن بيننا أصدقاء محبين، هو أبدى وجهة نظره وأنا أيضاً أبديت وجهة نظري وإن كان هناك الغمز واللمز فقد انتهى في وقته.

وفي كتابي (رسائل لها تاريخ) نشرت أكثر من رسالة تلقيتها من الأستاذ حسين سرحان وهي تفيض محبة، وتقديراً لشخصي ومؤلفاتي المتواضعة.

• لكنه وصفك بحاطب ليل؟!

** لم أتأثر بوصفه لي بـ (حاطب ليل) وهو كان معتداً بنفسه وكان من أدباء مكة البارزين شاعراً وكاتباً وبليغاً، وكان والده من جلساء الملك فيصل - رحمه الله - عندما كان نائباً لوالده في الحجاز، فهو استكثر عليَّ أن أدخل معه في مناوشة وليس لديَّ الخبرة أو التجربة، لعل ما يبهج النفس أنني سمعت مؤخراً أن باحثاً استطاع أن يجمع تراثه النثري في ثلاثة مجلدات كبيرة.

وعلى كل، كانت تلك المناوشة أول ما نشر لي في الصحف ثم استمررت في الكتابة وكانت أغلب كتاباتي في الشؤون الدينية، لأن ثقافتي كانت دينية خاصة.

• أصدرت كتاباً عن رحلتك إلى باريس بعنوان (ذكريات باريس) فلماذا تأخر صدوره ٣٠ عاماً.. هل كنت تخشى النقد؟

** حدثت بعض الظروف التي جعلتني أرجئ أمر طبعه، والإنسان تحيط به ظروف تضطره في بعض الأحايين إلى تأخير الشيء لأسباب تفرضها عليه مجريات الحياة. طبعاً لم أخش النقد ولم ألق معارضة أو نقداً لأي أفكار أو مؤلفات كتبتها. الحمد لله أن أفكاري فيها كانت معتدلة ولا أريد القفز، لا بد من السير بخطوات ثابتة إلى طرق الإصلاح والنهضة والعلم؛ لأن التسرع في بعض الأحيان يؤدي إلى نتائج لا تخدم صاحبها.

• ماذا عن رحلتك إلى تونس الخضراء التي زرتها عام ١٣٨٠هـ؟

** رحلتي إلى تونس جاءت في وقت كان رئيسها الحبيب أبو رقيبة، فدعا وفداً من الصحفيين السعوديين ووفداً من وزارة الإعلام. وقد دُعيت بصفتي ممثلاً لصحيفة (القصيم) وفعلاً ذهبنا إلى تونس واستقبلونا بصفتنا أدباء ومثقفين أتوا من البلد الحرام من مكة المكرمة والمواطن المقدسة، فكانوا ينظرون إلينا نظرة دينية خالصة، واستقبلونا استقبالاً حافلاً وشاركنا معهم في بعض احتفالاتهم وكان أعداد الوفد السعودية مكوناً من الأساتذة: (فؤاد شاكر الأديب والشاعر والمؤلف ورئيس تحرير صحيفة البلاد السعودي، وأحمد عبد الغفور عطار، وعباس فائق غزاوي، وأحمد محمد جمال، وعبد الله شباط، وعمران محمد العمران، وغالب حمزة أبو الفرج، وخالد حافظ).

كان برنامج الرحلة حافلاً بالكثير من الزيارات، فقد زرنا جامع الزيتونة، ومدينة القيروان، وشاهدنا مسجد عقبة بن نافع، وتجولنا في المتحف الوطني أو متحف الثورة.

وزرنا مدينة (عين دراهم) وهي إحدى المصائف الجميلة، كما انتقلنا إلى زيارة قرطاجنة التي كان لها دور في الفتوحات الإسلامية، وزرنا أيضاً قرية (نابل) المشهورة بصناعة النجف التي تحوي نقوشاً عربية.

وقد كان أعضاء الوفد يتمنون زيارة مدينة (توزر) مدينة الشاعر أبي القاسم الشابي، ولكن عندما سألنا عن هذه المدينة قيل إنها تبعد عن تونس ما يقارب ٤٥٠ كيلاً فوجدنا أن هذه المسافة طويلة وقد تكون شاقة.

ومن المواقف التي مازلت أذكرها أن الرئيس الحبيب بو رقيبة ذهب لافتتاح مشروع

خيري في تونس ودعا الوفد السعودي إلى مرافقته، فسرنا خلف سيارته وأثناء سيرنا في الطريق توقف الرئيس للرد على تحيات المواطنين الذين أتوا للسلام عليه فسلمّ عليهم، وكان الأستاذ فؤاد شاكر من أصدقاء أبي رقيبة قبل أن يتولى الرئاسة، فلما توقفت السيارة طلب الرئيس أبو رقيبة من الأستاذ شاكر أن يركب معه في سيارته لكن الأستاذ العطار اعترض على ذلك وذهب إلى أبي رقيبة طالباً الركوب مع الرئيس فقال له أبو رقيبة: لا فرق عندي بين أعضاء الوفد ويسعدني أن أحملكم جميعاً لكن سيارتي لا تتسع، لكن سأنزل وزير العدل وتحل محله.

كان هذا الموقف فيه شيء من الإحراج للرئيس وفي الوقت نفسه يدل على مدى إكرامهم للوفد الذي جاء من بلادنا المقدسة التي لها ولأهلها المقام الرفيع النزيه في نفوس المسلمين. وبعد عودتي إلى أرض الوطن كتبت في صحية (القصيم) سلسلة مقالات تحت عنوان (إلى تونس الخضراء) ابتداءً من العدد ٧٠ في ١٣٨٠/١١/٣هـ وصفت في تلك المقالات مشاهداتنا واستقبالنا وما رأيناه من بوادر النهضة والعمران بعد الاستقلال من الاستعمار الفرنسي.

• (مكتبة العرب) لصاحبها الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - أين كان موقعها؟ وهل كانت تبيع الكتب التراثية أم تقتصر على الكتب العصرية؟

** قديماً كانت بالقرب من الجامع الكبير عندما كان يطبع صحيفة (اليمامة) في المطابع التي أنشأها في المرقب. كان لها زبائنها وكان يعرض فيها بعض الكتب التراثية والتاريخية والدينية وبعض الدواوين الشعرية والمؤلفات العصرية التي كان يجلبها من مصر وبلاد الشام، وكان المثقفون قليلين جداً في ذلك الوقت. وكانت تقع في قرب (مكتبة العرب) بعض المكتبات التجارية، أذكر منها: المكتبة الأهلية والسلفية والمختار والنهضة، وغيرها من المكتبات التجارية القليلة.

• وأين كان موقع مكتبتك من مكتبة العرب؟

** مكتبتي لم تعمر طويلاً قد ابتعتها من أبا بطين، وهي تقع في مكان خلف قصر الحكم جنوباً عنه يسمى (حوش الجبس) كانت في عمارات القصور. وقد كنت أبيع مختلف الكتب والمجلات والصحف. كان هناك بعض الإقبال؛ لأن أكثر المواطنين غير متعلمين وهواية القراءة والاطلاع كانت محدودة.

• ديوانك (خفقات قلب) هناك من يقول إنه أقرب إلى النظم من الشعر فما تعليقك؟

** أنا راضٍ عن شعري ومعتز به، وأعجب بكثير من الأفكار فيه وأندهش كيف استطعت أن أنظم هذه الأبيات بهذا الأسلوب وهذه الأفكار كنت كتبتها في مطلع الشباب حيث قوة الخيال والعاطفة الجياشة، والرغبة في عمل أُقلد به الشعراء الأوائل، فقد كنت أحبُّ الشعر وأطرب له وأحفظ ما يروق لي منه. وفي ديواني (خفقات قلب) الذي صدر منذ عامين أو ثلاثة العديد من القصائد التي قيلت في أغراض مختلفة وأماكن متفرقة وإن كانت فيه بعض المدائح المبالغ فيها، والتي نشرتها في صحيفة (أم القرى) في مدح الملك عبد العزيز أو ولي العهد الملك سعود رحمهما الله وأجزل لهما المثوبة.




# نِثار..

شعر: محمد بن أحمد قشقري

حـــــديقتنا كــــم أرحنـــا الركـــاب
ولـــذنا بجمـــر النـــدى المـــستطاب

نحـــوم علـــى لمحـــة الانطـــلاق
ونوغـــل في المـــس والاقـــتراب

نمــــد إلى الأمنيـــات اللـــهاث
ونـــسبل أنفاســـنا للغيـــاب

حـــديقتنا والرحيـــل اســـتدار
تجـــف ذراع ويـــسخو أوار

وينحـــدر الـــروع نحـــو الـــشجا
وتعتـــصر القلـــب كـــف الإســـار

وتجثـــو علـــى الإثـــر تنهيـــدة
وترقـــرق في جنحهـــا الانكـــسار

حـــديقتنا اقفـــرت مـــن حـــنين
مـــن الـــشوق مـــن هـــاتف لا يـــبين

فمـــا جئـــت يـــا عـــابراً ترتجـــي
أو ردا تنـــاثر منـــه الأنـــين

أأمـــسا تـــردد في جـــوه..
صـــدى الـــوهم نهنهـــة اليـــاسمين







حـــــــديقتنا أقفـــــــرت واحفـــــــة
أطاحـــــــت بأطيارهـــــــا العاصـــــــفة

أســـــــالت علـــــــى جـــــــذعها قبلـــــــة
تـــــــساقط مـــــــن غـــــــصة خاطفـــــــة

ليرتعـــــــد الحلـــــــم في جفنهـــــــا
فيعـــــــدو إلى الدمعـــــــة الواقفـــــــة

حـــــــديقتنا في المـــــــساء ابـــــــصري
خيـــــــوط الجـــــــراح علـــــــى الخنجـــــــر

شموعـــــــاً مـــــــن الرمـــــــل قـــــــد أوجـــــــزت
حيـــــــاة الحـــــــروف علـــــــى الأســـــــطر

وعمـــــــراً مـــــــن الظـــــــلّ قـــــــد أطلقـــــــت
يـــــــداه علـــــــى الـــــــشاهد الأصـــــــفر

حـــــــديقتنا أيـــــــن ثغـــــــر الحيـــــــاة
ودوامتـــــــا غـــــــسق في لمـــــــاه

وأيـــــــن بعيـــــــنين أفقـــــــا حنـــــــان
تناديهمـــــــا قـــــــسوة في الـــــــشفاه

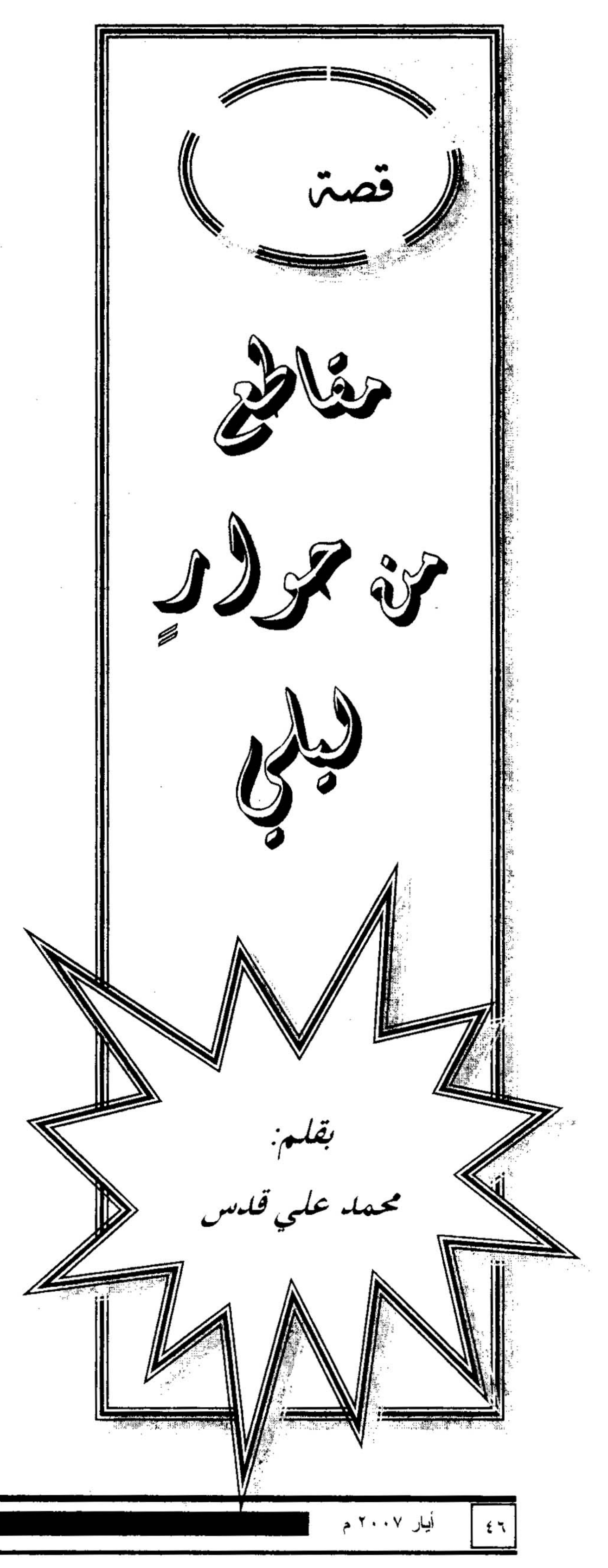
وأيـــــــن الـــــــضلوع تـــــــضيق بنـــــــا
وتنثرنـــــــا في النهايـــــــة آه

حـــــــديقتنا أبنّتـــــــك الثلـــــــوج
وكفكفـــــــت الـــــــريح نـــــــدب المـــــــروج

وســـــــجت حفيـــــــف الهـــــــوى صـــــــفحة
مـــــــن الـــــــصمت ملقـــــــاة لا فـــــــروج

تأملـــــــت ســـــــرباً مـــــــضى جاحـــــــداً
فزاحمـــــــت آلامـــــــي للخـــــــروج




**زوجتي ثرثارة**

أعتقد ليس غريباً أن تكون ثرثارة، وجه الغرابة يكمن فعلاً فيما لو التزمت الصمت وآثرت الهدوء، فالنساء جميعهن ثرثارات!

ثرثرة زوجتي تحرمني من ممارسة العشق الذي أُسرت به منذ الصغر. فأنا أعيش في عالم ممتع في أحضان الكتب والمجلات.. لأني أجد فيها ما تتوق إليه نفسي من فكر وثقافة. إن الدنيا في نظري شيء والقراءة أشياء وأشياء.

لقد أخذت تحدثني في الليالي الماضية عن جارتنا الطيبة السيدة صفية، بطريقة ضقت بها ذرعاً، فصممّت على اللا مبالاة. واصطناع الاهتمام بحديثها. كنت أختلس النظر إليها من خلف نظارتي التي أستعين بها عند القراءة لإيهامها بمتابعتي.. فأجد شفتيها تتحركان حركات سريعة وتشكلان أشكالاً دائرية وشبه دائرية، أما الصوت فلا أسمع منه شيئاً، لأني غائب في استيعاب واستمعان الكلمات التي أقرأ.

.. لكن شيئاَ ما في شخصية السيدة صفية شدني إلى معرفة الشيء الكثير عنها، كنت أعلم أن أرملة الثري تملك العمارة التي نسكن إحدى شققها.. لكني لم أكن أعلم أن هذه الأرملة هي جارتنا السيدة صفية. أُصبت فجأة بداء الثرثرة من زوجتي وأخذت أمطرها بوابل من الأسئلة، كانت مصدر نزوعي للثرثرة.. معرفتي للجوانب التي أجهلها عنها، وقد ازددت نزوعاً لهذه المعرفة بعد الذي سمعته من زوجتي عنها. وكان أن ارتابت زوجتي.. خصوصاً وأني ألقي عليها السؤال وبنفسي شوق لمعرفة الإجابة.. إلى أن قالت لي محذرة: إذا كنت تعتقد بأنك ستثير غيرتي بهذه الطريقة فأنت واهم، فلو فكرت في الزواج منها. وإغرائها فاعلم أنك مُقدم على

تجربة تدمّر فيها نفسك أولاً. لا شيء يغري بالسيدة صفية سوى ما تكتنزه من أموال. وهزت كتفها ساخرة وأشاحت بوجهها عني. انفجرت بالضحك ساعتئذ.. وأنا مندهش لحديثها (ما كنت أظن أن تفكيرك سيُؤدي بك إلى هذه الظنون. كيف تفكرين بهذه الطريقة؟ سيكون ضرباً من ضروب الجنون لو فكرت مجرد التفكير في الاقتران بأرملة في السبعين من عمرها، فما بالك بالإقدام عليه. فقط أردت استجماع معلومات كاملة عنها. إنها سيدة غريبة الأطوار.. وفي حياتها أسرار لا شك أنها غامضة).

الذي يثير دهشتي أن السيدة صفية مغرمة إلى درجة العشق بالروايات البوليسية!! تصوروا امرأة عجوزاً تعيش وحدها بلا أنيس.. تستأنس بحوار المجرمين والقتلة.. وصوت طلقات الرصاص. لا شك أنها معجبة بفكر أجاثا كريستي وأرسين لوبين. ولا تفوت السيدة صفية أي رواية تُبث مذاعة أو متلفزة.. هذا ما قالته زوجتي.. وغطت في نوم عميق. نامت في الوقت الذي كنت في أمس الحاجة لثرثرتها.

صوت المذياع يكسر هدأة الليل.. وصل إلى سمعي حوار تمثيلي موحش.. كأنه يدور في الحجرة المجاورة.

– ماذا تريد الآن؟!

– لا شيء.. سوى أمانة كنت قد أودعتها عندك قبل عام ونصف تقريباً. لقد دفعت الثمن غالياً. أين المال؟ تعلم أننا قد اتفقنا.. ولا أظن أنك ستنقض الاتفاق.. إلاَّ.. إلاَّ.. إذا كنت في...

– لا داعي لكل هذا. حقك محفوظ عندي، وأنا على ما اتفقنا عليه، إلاّ أن أموراً قد جدّت، إذ أنفقت جزءاً من المال الذي سرقناه معاً.. في سبيل القضية وإبعاد الشبهات والرشاوى وما إلى ذلك من أمور لا تجهلها. وسنقتسم المبلغ المتبقي مناصفة بيننا.

– أنت ذكي.. وذكي فعلاً. ولكن هل تظن بأنني على هذه الدرجة من الغباء لكي أصدقك وأرتضي بهذه القسمة الجائرة. أدفع الثمن غالياً في قضاء مدة الحكم خلف القضبان لتعيش منعماً بالمال والحرية ويكون نصيبك مثل نصيبي.. سأنال حقي بطريقتي..

– أخ خـ خـ... ماذا إنـ... إنـ... ـى أخـ ـتـ ـنـ ـق..

– وهل تشك في ذلك.. لن تعيش لتشعر بآلام الاختناق.

ساد صمت موحش..! همهمة وأنين وموسيقى مزعجة. ليلة موحشة، ازدادت بالحوار العنيف وحشة وكآبة.. لا بد أن السيدة صفية يلذ لها سماع مثل هذا الحوار.. وتتابع أحداثه بشغف واهتمام، أما زوجتي فقد راحت في سبات عميق. بدا صوت (شخيرها) أكثر وضوحاً وإزعاجاً. أردت أن أنبه عليها.. أن تطلب من السيدة (صفية) خفض صوت المذياع قليلاً، لكني لم أستطع فدسست رأسي تحت الغطاء.. وخيال الحوار التمثيلي يتجسد في مخيلتي لقاتل ومقتول.. جريمة من الدرجة الأولى.. مع سبق الإصرار والترصد.

في الصباح جلست أحتسي كوباً من الشاي.. وبطني فارغة.. إذ ليس من عادتي تناول أي شيء في الصباح. ترتج صفحات الجريدة وهي مشرعة أمام عيني.. كلما تثَاءَبت، حاجتي للنوم ملحة. لكني ملزم بدوام عمل صارم. أرخيت الجريدة عن وجهي فبدا لي وجه زوجتي مشرقاً.. كيف لا وقد نامت ليلة هانئة، كانت تغمض عينيها وهي تلوك قطعة من (الشابورة) وتطحنها تحت أسنانها، وخيِّل إلي أني أسمع صوت مكنة عتيقة لها تروس صدئة تآكل بعضها، أحسست بصداع.

قلت لها وأنا أهم بالوقوف: أرجو أن تحادثي السيدة صفية بشأن صوت المذياع. الأمر هام جداً.. بت ليلة نكداء البارحة.

غادرت الغرفة متأبطاً الصحيفة دون أن ألتفت إليها. كنت أعلم أنها رائقة المزاج وسيحلو لها الحوار معي في هذه اللحظة بالذات.

لم تكن الليلة التي تلت البارحة خيراً أو أفضل منها.. بل كانت أسوأ. كانت أشد وحشة وكآبة. لا أنكر أنني آويت إلى الفراش مبكراً.. فقد باغت النعاس عيني طوال ساعات النهار. إلاَّ أنها ليلة لم تكن على ما يرام منذ أولها. ساد صمت كئيب أحسست خلاله أن الأشياء يصدر عنها أصوات، صرير وأنين. أفقت بعد سِنَة من النوم.. على ضجيج ترتفع خلاله أصوات عراك وحوار.. قلت في نفسي (.. كُتب عليّ أن أُقحم كل ليلة في حوار من تمثيليات السيدة صفية) بدا الحوار واضحاً وحيوياً.. همهمة أنفاس تتلاحق.. صوت امرأة تصرخ.. ثم يغيب مكتوماً. أصوات أشياء تقع وتصطدم وتتحطم. ساد الصمت من جديد.. الأنفاس المتلاحقة تزداد اضطراباً.. قلت في نفسي (يا لها من سيدة خَرِفة.. ما هي المتعة التي تصل إليها عند سماع مثل هذه المواقف اللا إنسانية.. بدأت أشك في شخصية السيدة صفية.. لا بد أنها تكتنف أسراراً كثيرة في حياتها) التفت إلى زوجتي وقد انكمشت على نفسها تحت الغطاء هززت زندها بيدي وأنا أقول: ألم تحادثي السيدة صفية بشأن المذياع؟! لا أدري كيف تنامين وسط هذا الضجيج؟ أجابتني مغمغمة: لم تكن موجودة طوال النهار.. وفي المساء كان لديها أحد الأقرباء، الصمت ساد من جديد.. كأن السيدة صفية قد سمعت حواري مع زوجتي. فأخرست صوت مذياعها.. يا لها من سيدة لطيفة.

قبل أن يرن جرس المنبه الذي أستيقظ على رنينه لأداء صلاة الفجر.. سمعت صوت جرس آخر. ليس معقولاً.. فليس لدينا منبه آخر.. ثم أعقبه خبط شديد على الباب. نهضت من فراشي فزعاً لا بد أن شخصاً ما يطرق باب الشقة. استيقظت زوجتي.. سألتني عن الشخص الذي يزورنا مع الفجر..

حملت في عينيها. وقد داهمت فكري هواجس عديدة. ابتلعت ريقي في خوف.. الطرق يزداد عنفاً.. سحبت قميص (بيجامتي) من على المشجب.. واتجهت إلى الردهة الخارجية حدثت نفسي (ربما حدث شيء ما في الشركة.. سُرقت الخزنة.. أو) أضأت الردهة.. وأنا أردد في صوت لا يسمعه الطارق (إني قادم.. ستكسر الباب بهذه الطريقة..)..

وما أن فتحت الباب.. حتى اندفع إلى الداخل أربعة أو خمسة أشخاص لم أتبين عددهم للوهلة الأولى. تبين لي فيما بعد أنهم أربعة يرتدي إثنان منهم ملابس رسمية تأكدت بوجودهما أن أمراً جللاً قد حدث. الشرطة وعمدة الحي في بيتي.. وعند الفجر!! (في الأمر مصيبة ورب الكعبة)..

حملق بعضهم في عيني.. تفرسوا في وجهي بريبة وشك.. أصبت خلال ذلك بالوهن والخوف.. لم تكن هناك عين ترأف وترفق بي.. سوى عين العمدة. كانت تخفف الرعب عن نفسي. صرخت وقد استجمعت كل قواي: ما الأمر. ما الأمر يا عمدة؟! قبل أن أتلقى منه أية إجابة.. استعرضت استعراضاً سريعاً كل عمل قمت به طوال يوم أمس..!!.. لم أقترف إثماً.. ولم أدهس قطة.. كررت السؤال بخوف واختصار..

قال العمدة بأسى وهو يطأطئ رأسه..

لقد وجدوا السيدة (صفية) مقتولة في بيتها.. قُتلت قبل منتصف الليل بدقائق..! وجدناها في شقتها المجاورة لك.. مخنوقة!




# العروس التي أمهرتها كبدي

شعر: بشير سالم الصاعدي

مهمـــا نأيـــتُ فبالأشـــواقِ أقـــتربُ

مـــن الريـــاض فـــدتها العـــينُ والهُـــدبُ

أنـــتِ الريـــاض فمـــا ليلـــى مـــؤرقتي

لـــو تنهـــبُ القلـــبَ عيناهـــا وتـــستلبُ

دعـــتني النّجـــلُ للترحـــال فانـــصرفتْ

روحـــي إليـــك وفي عينيـــك تغـــتربُ

يـــا نغمـــة الحـــب تـــسري بـــين أوردتـــي

إذا طربـــتُ فأنـــتِ الوجـــدُ والطـــربُ

يـــا غيمـــة الحـــب هـــا قـــد جـــاء بـــي طمئـــي

فـــأنهر العـــشق مـــن عينيـــك تنـــسكب

يـــا حبـــة القلـــب عنـــك الـــورد يـــسألني

فيـــشعل الـــشوق في قلـــبي ويلتهـــبُ

أمـــا أتـــاكِ رســـولي آهـــة ثقبـــت

قلـــبي عليـــك وقلـــب الـــصّبِ ينثقـــب







في كـل قـصة عـشقٍ ينتهـي بطـلٌ
فهـل أمـوتُ ولمّـا ينتهـي الأرب
روايـة العـشقِ للآتـين يـسردها
الـذاهبون ولـولا العشق مـا ذهبـوا
من طيبة الحب ها قد جئت يصحبني
منهـا إليـك شـذى النعنـاع والرطـب
هنـا أحـطّ رحـالي غـير مكـترثٍ
بمـا سـواك فقـد أورى بـي النـصب
أشـيمُ برقـك فاسـتمطرتُ قـافيتي
مـن يمنـعُ الـشعرَ إلاّ أنـتِ أو يَهَـبُ
أتيـتُ قبـل قـدوم الـورد أخطبهـا
ولـستُ أول مـن جـاؤوا ومـن خطبـوا
وجـدتُ ألـفَ محـبٍّ عنـد شـرفتها
أغـراهم الحـسن والأخـلاق والأدب
فهـي العـروس الـتي أمهرتهـا كبـدي
فهـل يُجـابُ لقلـب المغـرم الطلـبُ
كـم تـشعلين بقلـب الـشمس غيرتهـا
بـين الحـسان يكـون الكيـد والغـضب
مـن يـسكب الـضوء إلاّ أنـت في لغـتي
حتـى تـضيء بـك الأشـعار والخطـبُ
مـا جئـتُ أحمـل إلاّ الـشعر أمنحـه
عنـد الحـسان تـساوى الـشعر والـذهبُ







مــــاذا ســـأكتب في غيــداء غازلهـــا
قبلــي الــسحاب فمــا لانــتْ لمــن كتبــوا
عفيفــة الطــرف مــا هانــتْ ولا صــغرتْ
بـــالعز تكتحـــل بالمجـــد تختـــضبُ
يـــا أول الحـــب في قلـــبي وآخـــره
قـــرأتُ عنــك فمــا أغنــتني الكتـــب
النـــاس للنـــاس تحكـــي عنـــك ملحمـــةً
أنبـــاء مجـــدك ترويهـــا لنـــا الـــشهب
والـــورد للعطـــر يحكـــي وهـــو منبهـــر
فـــلا يـــصدّقُ إلاَّ حـــين يقـــتربُ
أنـــا الـــدعيّ فـــلا تغريـــك قـــافيتي
مـن نهـر حسنك أهـل الـشعر قـد شربوا
قلـــبي إليـــك مطايـــا الوجـــد تحملـــه
فـــإن أتيتـــك زال الهـــمّ والتعـــب
هيّـــا احملـــي دلّـــة الـــسمراء زاهيـــةً
ليـــشرب الحـــبَّ قبـــل القهـــوة العـــرب
هـــاتي الربابـــة واســـتلقي علـــى كتفـــي
حتـــى يُـــزارَ لمـــا غنيتـــه الخـــشب
تلـك العبـاءات كـم بالحكمـة اتـشحتْ
لهـــا الكرامـــة وبـــر العـــلا قـــصب
غـــداً ســـأرحل والتوديـــع يقـــتلني
واليـــأس فيـــه علـــى آمالنـــا يثـــبُ







# طيفها..!!

شعر: عثمان بن سيّار

يــــراوحني منــك الهــوى وأُبــاكرُه

فــلا هــو يَنْــساني، ولا أنــا نــاكرُه!

يــــراوحني طيفــاً إذا الليــل جننــى

ســناكِ يــرف حولــه، ويــسايرُه!

يظــل يعــاطيني ضــروب دلالــهِ

فأحــسِبُ أنــى والحبيــبَ أُســامِرُه!

وأَضــحي مــع الإِصْباح شمــساً كئيبَــة

وأفقـــي مربــد تــروعُ منــاظرُه!

أفــتش عــن طيفــي الــذي زار موهنــاً

وقد طار عني في دجى الليل طائره!







فهـل مـرة في الليـل وافـاكِ طـائف

يحــدث عـــني والــشجون تـــساوره؟!

ومـا الطيـف إلا جـاحم الـشوق كلمـا

دجـا الليـل وافتنـا سـرَاعاً عـساكره!

حبيـبتي مـري علـى العـش واذكـري

حبيبـاً نـأى عنـك تلظّـى خـواطره!

نـأى مرغمـاً لـو كـان يـسطيع مـا نـأى

ولكنهـــا أقـــدارُه.، ومـــصائره!

نـأى تـزحم الـذكرى لياليـه والأسـى

بجانحــه يطويـــه، والوجـــد ناشـــره!

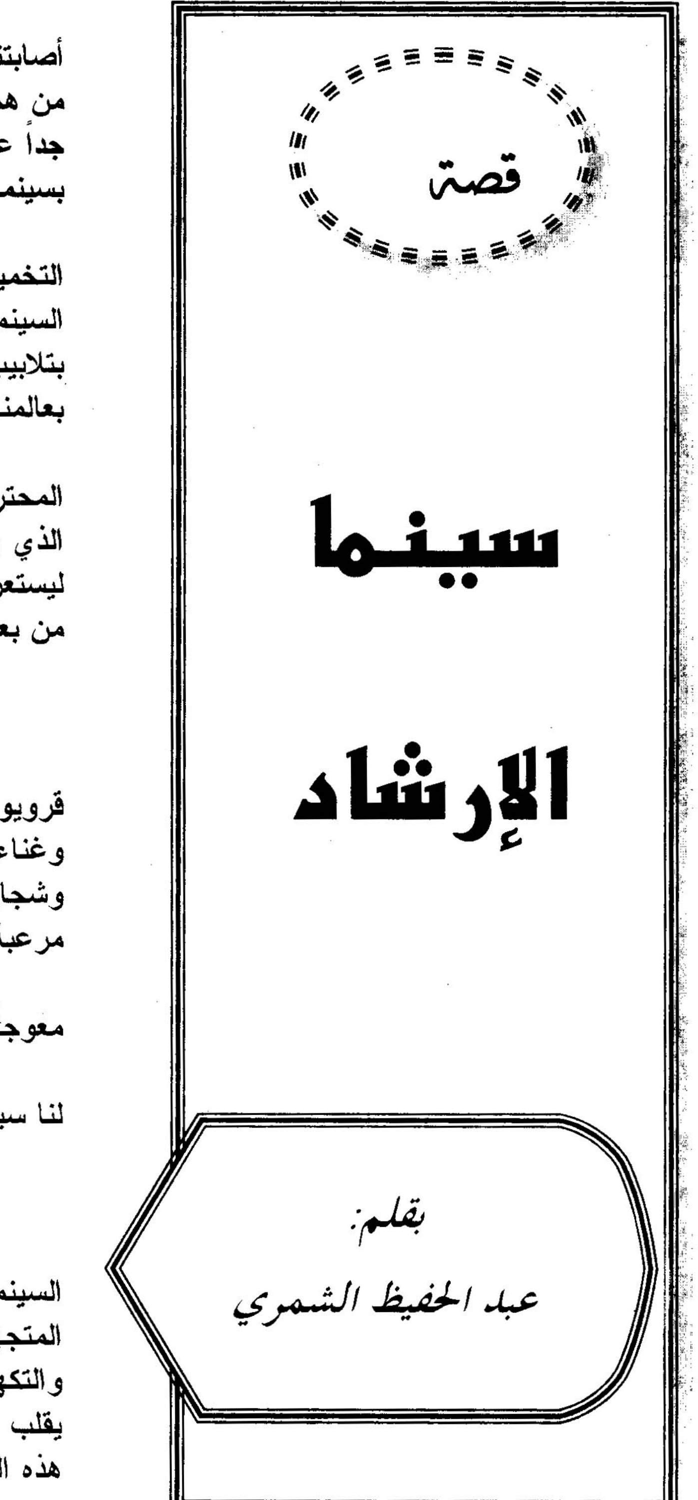
وأحلـى أمانيـه مـن العيـش أن يـرى

محيـاك حتـى يقطـف العمـر بـاذِرُه!

فـساعة وصِـلي عنـده تعـدل الـدنى

وأول مـــا يبغيـــه أنـــتِ وآخـــره!




لكم أن تتصوروا حجم الدهشة التي أصابتنا، والفرح الخفي الذي نلتقطه في وجوه من هم أكبر منّا عندما أعلن في قريتنا النائية جداً عن كل شيء عن قرب لقائنا الموعود بسينما الإرشاد الزراعي.

هكذا قالوا لنا العبارة وتركونا رهن التخمين والحدس والتساؤل من ترى تكون هذه السينما؟! وما هو الإرشاد؟! فيما تمسكنا بتلابيب (الزراعي) لأنها كلمة ألفناها واختلطت بعالمنا..

في تلك الليلة التي سبقت وصول السيدة المحترمة (السينما) لجأنا إلى سعد.. ذاك الرجل الذي يهوى التسكع في أرجاء القرية ليستعرض ملاحته أمام المارة بيدين لا تخلوان من بعض المجلات والصور المبهرة لنا.

سألناه:

- ما هي السينما يا أخانا سعد؟!

- هيه.. ألا تعرفون السينما يا قرويون؟ صور فاتنة وقصص حب ونساء وغناء وأشجار.. ركض ومطاردات.. حرب وشجار.. أناس يتقاتلون بكل شيء.. هي مرعبة.. أنصحكم بعدم حضورها..

قال أحد العقلاء وهو يلفظ اسمها معوجاً:

- لو لم تفدنا هذه (السيماء) ما جلبها لنا سيد القرية.

نصحنا بأدب وحياد:

- لا تسمعوا كلام هذا المهرج.

حاولنا الاستزادة من الأخبار عن هذه السينما القادمة إلينا في أحضان هذا الجبل المتجهم فلم تفلح محاولاتنا. ظل التخمين والتكهن سيد الموقف حتى افترقنا كل إلى داره يقلب أفكاره يمنة ويسرة.. من يا ترى تكون هذه السينما.. كيف ستحضر إلى هنا..؟ هل

ستسير على أقدامها مثلنا أم تراها ستحمل على دابة أو تجرها السيارة..؟

* * *

لكم أن تتصوروا مقدار الوساوس التي داهمتني، والتخمينات التي آذتني.. حتى أمي تيقنت من قرب جنوني عندما أخذت بالهذيان وأنا نائم على الأرض خارج فراشي.. كنت أغمغم؛ وأتمتم بكلمات مبهمة لم تستوضح أمي منها سوى سينما.. من هي أين لا.. لا.. لا..

* * *

عند الظهيرة أخبرنا أن السينما ستأتي مع حلول المساء، وعلينا الاجتماع في ساحة القرية بعد العشاء قرب بركة الماء.. من يتأخر ستفوته مصافحة السينما، أو ربما لا يظفر بقبلة على جبينها.. لا أدري لماذا تخيلتها مع أشقياء آخرين مثلي أنها أنثى؟! ربما من اسمها استنتجنا هذه الأنثوية الغامضة.. لا ندري..

سرت في عوالم القرية إشاعة قوية مرعبة تؤكد أن القادم ما هو إلاّ شيطان رجيم سيبث السحر في العيون، وسيسرق ما لدى أهلنا الطيبين. بل إن هناك من حذرنا من الاقتراب منها لأننا سنكون ضحايا لهذا المارد القادم من المجهول.

- سينما.. يا رب ماذا فعلنا لتعاقبنا..

كان الرجل يهذي ويكرر هذه العبارة محاولاً إفزاع أبنائه بعد أن قرر منعهم من الحضور.. فهو سيقفل بيته قبل الغروب بقليل، ولن يخرج منه حتى ينقشع هذا البلاء الذي سيحل مع المساء.

* * *

انتزعت الموافقة من أبي من أجل الحضور؛ وإمعاناً بالموافقة وتقليلاً من رأي أمي المعارض لحضوري، قرر الذهاب معي بنفسه ربما لأمرين أولهما أن يحميني من هؤلاء الذين قد يكونون من أهل الخفاء الأشرار، وثانيهما أن يتظاهر بالولاء لشيخنا الذي أعطى الإذن بدخول السينما إلى عالم قريتنا البائسة.

ما زاد الأمر ثقة وحماساً للمشاهدة بين القرويين هو قرار شيخنا بالحضور والمشاهدة لدعم رؤيته؛ إلاّ أنه أوصى بشحذ سيفه (طايل)؛ إذ إنه سيتأبطه في خطب كهذا..

ولكي يكون الحكم واضحاً، والأمر واقعاً لا لبس فيه فقد انقسمت القرية قبل الغروب على نفسها إلى فريقين؛ واحد يؤيد ويوافق على الحضور والمشاهدة، والآخر كان يرفض الفكرة؛ فالأول يرى في حضور الشيخ علامة مهمة ومضيئة يستدل بها.. أما الفريق الثاني فإن ما يؤكد شكوكهم وظنونهم بهؤلاء القادمين هو اختيارهم هذا الوقت المخيف من اليوم.. ذلك الذي يسمى في هذه التخوم فحمة الليل.. (الصفرة) إذ النواهي والزواجر كثيرة حوله.

الشيء الذي لم يتجادلوا حوله كثيراً وكان رأيهم فيه بالإجماع هو إبعاد النساء عن الحضور هذه الليلة، وتطبيقاً لهذا القرار كلف رجل جسور ذو قلب قوي لردع أي أنثى تحاول التلصص على هذا الحفل المهيب.

مع الغروب دخلت القرية (سيارة) غريبة تحمل في جوفها بعض الأشخاص. قادهم أحد الرجال إلى الساحة التي اجتمع بها أهل القرية. شرعوا على الفور في تفكيك اللغز المعاند لنا. رفعوا فوق سيارتهم الكبيرة الداكنة شراعاً أبيض. اتسعت حدقاتنا نرقبهم، وهجم الفضول علينا كما يهجم الذئب على حملان وادعة. أمرونا بالجلوس إلاّ أنه من فرط تزاحمنا لم يحسنوا أداء عملهم بسهولة.

أداروا مولداً كهربائياً صغيراً؛ علا صوته في الأرجاء، ثم أحضروا برميلاً فارغاً نصبوا عليه جهازاً أسود تعلقت به بكرتان

كبيرتان. في لحظة الإعداد لم يكن هناك ما يثير الرعب أو الخوف بل إن الجميع وأنا منهم استعدنا بعض الأمان، وزالت أسطورة الوحش العظيم لندرك بحدس بسيط أن الأمر لا يعدو كونه تجربة ما تحتاج إلى ممارسة.

لم يطل مكوثنا؛ بل طلب أهل هذا الشراع أن يكف الجميع عن الحديث ونلتزم الصمت؛ لتسري في قلوبنا بعد أن خبت الأحاديث رعشة خفيفة في مقابلة هذا المارد المتجهم. حركت نسمات الهواء القليلة الشراع الأبيض وأحدث جلبة أخافت البعض.

التزم الحضور بصمت السكون تماما لحظة أن تحركت البكرتان بوجيب خافت. تجاذبتا الخيط الأسود العالق بينها بتناغم منتظم. لمع ما يشبه البرق على الشراع الأبيض. تحركت الصور وتعالت في الحشد حوقلة واستعاذة. أطلت على الحضور العديد من الصور المذهلة. انعكس بعض الضياء. تمايلت الصور واهتزت وسمعوا لغط الأصوات القوي من فتحات علب سوداء فما كان منهم إلاّ أن يلجوا عمق التأمل.

ما إن ارتفع الصوت عالياً كالمذياع العملاق حينما يصدح في الغناء حتى انهزم من الحشد ثلاثة. هربوا يلهثون ويستعيذون بالله من هذا الشيطان الرجيم.. ورابع انسحب متذرعاً بأنه بحاجة للخلاء وسيعاود إن أسعفته الظروف إلى مكانه. أما من بقي فلك أن تقول عنهم مسحورون، إذ هم مسمرون إلى الأرض ينظرون ما تبثه الموسوعة البريطانية الزراعية من إرشادات للمزارعين.

المفارقة هنا واسعة، ووجه الشبه بين أعمال أهل هذه القرية البائسة وأعمال هؤلاء على هذا اللوح الصقيل متنافرة. لك أن تدرك الفرق بين العالمين النقيضين تماماً مثل العطش والارتواء.

تأملوا كل شيء في هذا الضياء. رأوا في عامر هذا الخلاء كيف يصنع الفلاح الغريب مملكته الخاصة..؟ كيف يصلح البرتقال ويقطف الورد ويسقي الموز، ويرعى النحل ويربي الطيور؟ لفت انتباه الرجال امرأة فاتنة تذهب وتعود في هذا الحقل بثيابها القصيرة تحدث صاحب مزرعة أبيض حد الحمرة.

كل المشاهد التي تتراءى على هذا اللوح الصقيل بالأبيض والأسود. لا ألوان لهذه الأشياء تماماً.. مثل الحلم الذي مازال يحافظ على وقاره ليتراءى للنائم بهيئة لونين لا ثالث لهما.

آلات عملاقة تحرث الأرض. ماء يتطاير رذاذاً على البذور، ينعة تتورد على الكائنات. طائرات ترش المبيد. أيد كثيرة وماهرة تقطف ثمار الفاكهة.. هنا ما لم يكن تصديقه أو حدوثه.. لكننا نراه رأي العين. شيء ما يثير التساؤل حينما تلمح علامات الإعجاب بما رأوا من تلك النساء وهنّ ينهمكن في إعداد ما يوكل إليهن..

كف الوجيب المتناغم عن الشدو. وانفلت الحبل الأسود من البكرة الأولى بعد أن التف بعناية في الثانية. سكت المولد عن الطنين، وعاود الرجال الحديث حولها. نهضوا.

ظل الحديث – لأيام في قريتنا – يتردد عن هذا المارد اللامع الذي أطلَّ دون سابق معرفة.

شيخ القرية ومن أجل أن يمد جسور التواصل مع الحاضر البائس بنا ومع الآتي بهم.. قال إنه يخبئ مفاجأة أخرى قد لا تكون على هيئة سينما الإرشاد الزراعي إنما ترك للمخمنين أن يحدسوا ما يزمع فعله بالوقت المنظور.

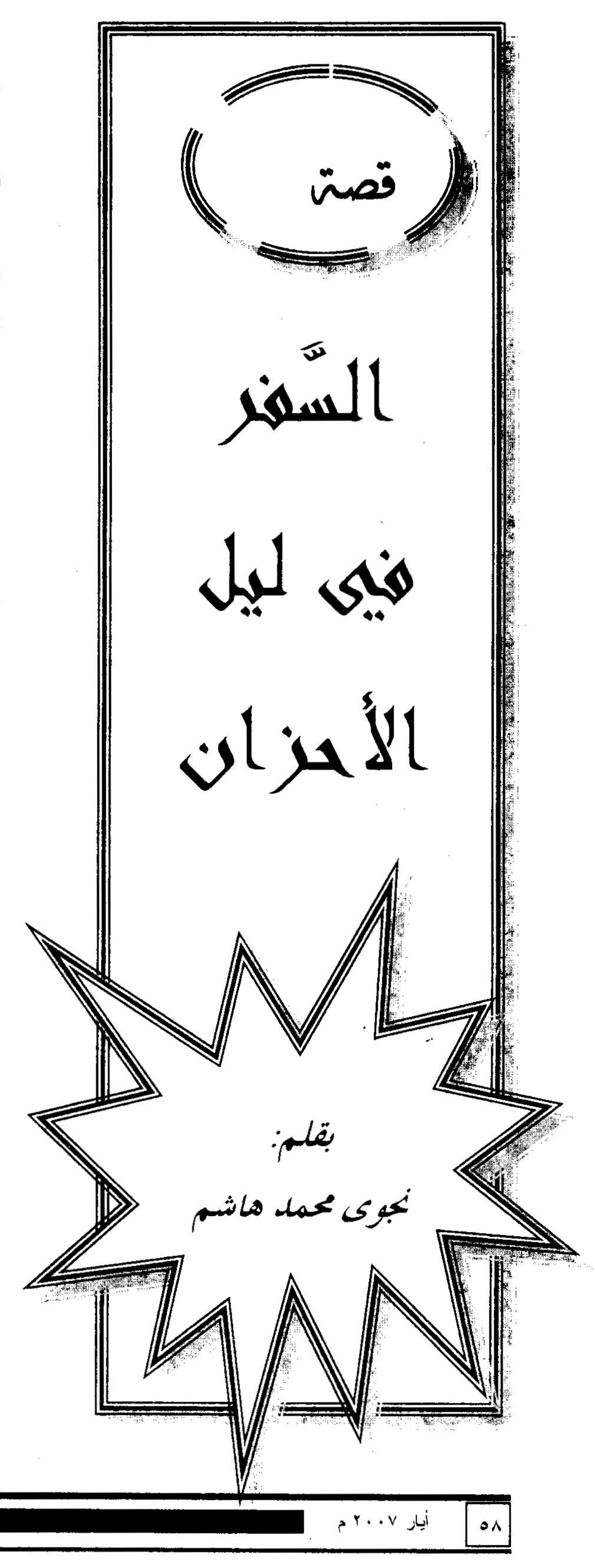



# وحي يشع..

*شعر: عبد الرحمن المروبع*

أنا ذلك (المدنيُّ) مَن سكبَ الهوى
للنخل.. والنّعناعِ.. والمحرابِ
ومآذنُ (النَّبويِّ) تسْري في دمي
وقبابُهُ سفرٌ على أهدابي
(والروضةُ) الغراءُ تعرفُ من أنا
وتَمُدُّ في وصل الهدى أحقابي
(وقباءُ) يَشرحُ للنخيلِ قضيتي
.. رُطباً جنيّاً يا بتول رحابي
إنّي أنا (الأنصار) من عشقوا الرؤى
وتسابقوا في روضة التَّوَّابِ
طاروا إلى الدنيا يماماً أخضرا
وترفعوا عن غُربة الأنسابِ
كان الصباحُ يجيءُ من شرفاتِهم
ويزورُهم ملأٌ من الوَهَّابِ
كانوا.. وكان النورُ يغشى دارَهم
وَحْيٌ يشعُّ على أُولي الألبابِ




تمددت اللحظة، عمراً بعمق الألم.. يدور الزمن الكئيب، يرسم أحزانه.. يسحب الظلام سدوله على الكون ليداعب أوتار الليل.. ضوء المصباح الخافت يتبدد أمام عتمة الأفكار التي أحاطت بي، وتتشح المشاعر سواداً.. يسود الصمت، هنا، وهناك.. في كل مكان.. تغرق في الحزن:

- ما أروعه في هذه الأمسية!

تعانقه.. تتدثر به.. يتغلغل في أعماقها.. تلتجئ إليه.. تسكنه:

- يا لروعة القدر!!

في أعماقها ضجيج.. ضجيج. كل شيء يصرخ.. العقل.. الروح.. الوجدان.. تمددت الأحزان، لتملأ جوانب الغرفة. تختبئ في الزوايا.. تلبس كل الأشياء.. تبدو الهموم رائعة في هذه الأمسية المخملية.. تعاودها أمواج الحزن الهادرة.. تعانق شواطئ عينيها.. تتأوه بعمق.. دقات الساعة تعلن الثانية عشرة.. تتواصل دقاتها، ويزداد ضجيجها الداخلي.. تصرخ حواسها. تغادر عيناها المكان، لتهرب إلى مكان آخر، علها تجد فيه الملجأ.. تسافر مشاعرها في لحظة من عمر الزمن المسروق، الحزين. تعانق أفراحها المنسية، حيث صدقها الأبدي، وتمردها المطلق:

- آه.. ما أقسى الشعور بالضعف!!

يتردد الصدى كئيباً، نازفاً من أعماقها: (الضعف.. الضعف..)

تثور.. تغادر المكان، في حركة لا شعورية.. يقتلها العجز عن عمل أي شيء..

أي شيء تسرق به الألم من عيون الليل.. تحمل نفسها، وخطواتها الواهنة.. تحاول لمس زر المصباح لتضيء النور:

- القوة.. القوة، هي الشعور الأروع.. النور، النهار.. المواجهة الكاذبة.. العظمة الفارغة.. المكابرة لدى الأنثى.. كلها أشياء تدعو إلى القوة.. (يا لروعة القدر).. فلسفة غريبة، حقاً.. ذلك ما يجري في الكون.. الضعف.. القوة، مصطلحان متناقضان لكنهما يتمازجان بصورة متداخلة، ليس في وسعي رؤية الحد الفاصل بينهما، على الأقل في هذه اللحظة المتوترة.. ربما، أتمكن من التركيز في وقت آخر، وأهتدي إلى هذه القضية..

تركز فكرها، وعقلها الواعي، واللا واعي في مسألة القوة.. تعاود الجلوس على الكرسي الموجه لسرير نومها.. تشعر بخطواتها واثقة، قوية.. تتحرر من ضعف اللحظة وألمها.. ترتمي على السرير.. شعرت، وهي في طريقها إليه بقوة لم تعهدها من قبل.. أرخت قدميها في حركة لا إرادية.. لمست زر المصباح الناتئ على الحائط.. تدفق الظلام، يملأ الغرفة.. تضحك في همس (الليل.. الظلام.. الألم.. الصمت.. ضعفي اللا إرادي.. حزني الدائم.. أشياء قوية يكتنفها الضعف..) تحس في أعماقها. كأن شيئاً يهوي، ويتهدم، مثل بناية قديمة.. تعاود الضحك بهمس.. تحتوي جسدها النحيل بكلتي يديها، وتسافر بخواطرها إلى بعيد:

- أنت تمددين في أعصابي..

هذه فلسفة غريبة في التعبير عمّا نحس..

- عندما نحب، يسكننا من نحب.. يتخذ من وجداننا، وجوارحنا وطناً عزيزاً..

يضحكان بعمق الفرح الذي غمر المكان. تسرح بعينيها إلى بعيد.. تحلق في أجواء الفرح الصادق.. يكمل هو:

- أحياناً نعجز عن تقييم روعة أحاسيسنا..

تفرح.. تزغرد أعماقها.. تحدق في عينيه. تتجاوزها إلى داخله.. تقول له في دلال:

- هذه أول مرة أسمعك فيها، وأحس بك تضج بعواطفك..

يبتسم، وينظر إليها في حنان.. تكمل:

- .. وهذه أول مرة - أيضاً - أراك فيها متفانياً لإيضاح ما بداخلك.. هل لك أن تقول لي.. أين كنت في ذلك كله منذ زمن..؟

تغمره راحة عميقة.. يستكين.. يهمس إليها:

- المهم.. ها أنت قد عرفت.. أن تمددك في أعصابي، ليس هو المهم، بقدر ما المهم أن تتعايشي مع عمري الماضي، ومستقبلي، وحاضري بكل عذاباته، وروعته، وفراغاته، وهروبه وضجيجه.

تسترخي ملامحها في فرح طفولتي.. تبدو كمن يسبح في تنويم مغناطيسي:

- هل يملك الإنسان أن يغير دمه..؟

تبحر في السؤال إلى بعيد.. يجيبها بابتسامة حانية:

- بالطبع.. لا..

- .. أنت تجري مجرى الدم في عروقي، وليس بوسعي تغيير دمي.

تتحرك شفتاه ليقول شيئاً.. تقاطعه:

- انتظر..؟!

ربما تريد أن تكمل دون أن يشعر. تقول له:

- في غفلة من عيون الزمن، تسللت إلى مشاعري، وروحي، وأعماقي، وهي مواقع كانت فارغة.. سكنتها دون حرب، دون سلاح، في زمن أضحى فيه السلاح.. الحرب، هما القوة الوحيدة في العالم.. تخللتني، وتبعثرت في روحي.. جئتني تحمل بطاقة دعوة مفتوحة، مفعمة بالصدق.. من أجل أن تجعل ما هو غير ممكن ممكناً..

تصمت. تسترد أنفاسها:

- لا تقل إنك سكنتني.. بل قل عشتك روحاً، وصوتاً، وأحلاماً جميلة تصحبني الليل، والنهار. سمعتك تجيبني متبرماً:

- متى نصل إلى مرحلة الملل من اجترار كلمات مؤطرة لما يفيض في أعماقنا؟

- التعبير بالكلمة قد يبدو هزيلاً أحياناً أمام لحظة فرح، أو لحظة ألم..

- أوافقك.. قد يكون مفزعاً أن يردد المرء كلمات تقليدية للتعبير عن تدفق فيضان الجوانح.. البحر، مثلاً، يقف عاجزاً ليفسر أسراره لمن يتأملونه.. حتى العشق.. حتى الموج، يعجز عن أن يبرر مده، وجزره. الفرحة تبدو هازئة لمن يسألها، لماذا أتيت الآن..؟

تسأله، دون أن تتجه إليه:

- لماذا تبدو الدنيا جميلة في لحظات صفائنا..؟

ينظر إليها، دون أن يجيب.. يضيف إلى سؤالها:

- لماذا تزغرد أعماقنا فرحاً، ونحلق في اللا مدى، طائرين بلا أجنحة، حين تعمر نفوسنا بالحب..؟

لا تجيب.. تسرح إلى البعيد، وتسترخي، لتطارد خواطرها في الظلام.. تسافر في ليل الأحزان. يتمدد الصمت في المساحة الواسعة من حولها.. يأتي صوت بعيد، يعيد الحياة إلى نفسها المتخدرة، ويفيقها.. ينطلق صوت أم كلثوم حزيناً، فرحاً، يتناقض مع الليل، والظلام، والخواطر المتدفقة:

(الليلة عيد ع الدنيا سعيد..)

تلتفت.. تجده فجأة بقربها.. يلتفت إليها.. يضحكان. يفرحان.. تتنبه.. تستيقظ من غفوتها على دقات الساعة تعلن الواحدة، وليل المدينة الساحلية، يبعث هواء، رطباً، محملاً بذرات السبخ المالح.. تبدو فزعة.. يسيطر عليها قلق، ليس بوسعها تجاهله.

- يا لروعة القدر.. ولكن.. آه. ما أقسى الشعور بالضعف..؟

لفها الصمت الذي يسود ليل مدينتها عادة في مثل هذا الوقت. تنظر إلى الساعة في الظلام.. لا تكاد تراها.. ضوء الشرفة ينعكس على الستائر، ويخترقها إلى الداخل ليغسل الأشياء، ويضفي عليها لمسة أخَّاذة.. تنسحب

إلى الأمام. ترفع الستارة، قليلاً، قليلاً، قليلاً، تحتضن جسدها الناحل بكلتي يديها.. تنطلق.. تسمع فكرها الواعي يخاطبها. ترفع الستارة أكثر.. تتسلل إلى الشرفة.. تلفحها نسمة هواء خفيفة، تنتشي معه، حتى الخدر. يغفو الليل، والساعة تجتر أنفاسها، رويداً رويداً.. تتكئ على الشباك المحاذي للشرفة.. تبدو المدينة صامتة إلاّ من نسمات ساحلية، تهمس همساً، وهي تمر عبر النوافذ.. تحاول تخطي عوارض اللحظة المسائية الصامتة.. يرتسم أمامها هدوء الليل، سواداً.. تعجب من الليل.. تناجيه:

- آه.. يا ليل.. مازلت تنثر جمالياتك على المتعبين.

تحس به يجيبها:

- أنا استكانة السهارى.. أنا حضن المتعبين، المهزومين، والمنتصرين.. الجميع يلجأ إليَّ.. السعداء، والأشقياء..

تعانقه.. تمارس معه بوحاً يضج بالفرح، والألم. يستمع إليها، ويربت على كتفها مثل أب حنون.. تحلق جوانحها معه.. يقول لها:

- واجهي نفسك بالصدق.. أنا واحة المتأملين، وبالصدق وحده، تلقين عن كاهلك ما ينوء به من متاعب، وتتخلص نفسك من آلامها.. عندها فقط تصبحين قادرة على صنع قرار ما، يصحح مسارك..

ترتاح.. تستكين أنفاسها اللاهثة.. تشف بصيرتها الواعية لأول مرة، وتتضح أمامها الأشياء.. تبتسم. تتراجع.. تخاف أن يسمعها أحد.. فجأة يتشكل أمامها مبتسماً.. يحاول أن يحتويها بنظراته النفاذة.. تهرب منه.. تحاصرها مرة أخرى.. تجد نفسها محاطة بها.. تنفلت منها، وكأنها تقول: (لقد تجاوزت عينيك..) يبقى متمثلاً أمامها.. يتدخل الليل غاضباً، مزمجراً: (ألم نتفق على أن تتخطي ذاتك لتتأملي الأشياء، بعيداً عن كل المؤثرات..؟).

تهدئ من روعه.. وتندمج في أشجانها.. تقول:

- يؤرقني ضعفي.. يا ليلي الحزين..؟

- ضعفك صفة بشرية، لا يمكن الاستغناء عنها..

- لكنني أريد أن أكون قوية، وقد عرفت نفسي قوية، لولا هذا الذي يسكنني في أعماقي، ويحتضن قلبي..

- ما قصته.. بوحي بما في صدرك علك ترتاحين؟

تسرح بعينيها إلى الأعلى.. تغرق في الصمت.. يخفق فؤادها بقوة.. تبكي فجأة كالأطفال:

- لست مشروخة الوجدان، ولا نازفة الجراح، ولا أملك دائرة محفورة، حتى العمق بآلامه. بل - بالعكس - بأفراحه، ولكنه يسكنني حتى الغضب من لا شيء.. إنه يحملني على أن أمارس معه لعبة القوة، التي أكتشف بعدها، دائماً، أنني لا أملكها.

يترنح الليل.. تجفف دموعها.. تحدق فيه.. يبدو كأنه يبتسم.. تتأمل شفافيته.

- الضعف.. الضعف.. لماذا يكبلني..؟

يعاود التحديق في عينيها.. تنتصب أمامه. يتراجع الليل قليلاً.. تتمثل جلسة محاكمة، قاضيها الليل:

- أريد أن تحاكم هذا الماثل أمامك.. كلما غضبت منه، تخطاني، ليخترق نفسي، ويربت عليها من الداخل بصدقه، وعفويته، فما هي إلاَّ لحظة، حتى تهدأ ثورتي.. وأستريح..

يسأل الليل في جدية:

- ثم ماذا..؟

- ثم أثور أنا.. أصرخ.. أبدو قوية جداً، في لحظة ضعف تكاد تبدد عزيمتي.. أفرغ في وجهه من سم الكلام ما يؤلم نفسه، ولكنني أكتشف، بعد ذلك، أنني أفعل ذلك لأتلذذ بتضميد جراحه، وأنا أتألم، حتى يشفى على يدي.. يقول الليل:

- هذه عليك، وليس لك..

- لكنك لم تعرف ماذا يفعل بي.. إنه يهزمني بلا مبالاته، وصمته الباسم، فلا يبقى لدي سوى القهر..

يشرك الليل آخرين في هذه المحاكمة.. القمر، والنجوم:

- اهدئي أنت.. بعد دقائق سيصدر الحكم.. تهدأ.. تختبئ في أعماقها.. تحدق فيه.. تتجاوز عينيه.. تحاول جاهدة لم أوراقها.. يتداخل إحساسها فجأة مع ردود الفعل السلبية التي لم تكن تتوقعها:

- الليلة كل شيء ينتهي.. ضعفي، وقوتي، ومواجهاتي الصادقة، والكاذبة..

تنظر إليه.. تدير بصرها..

يغيظني صمته المبتسم.. تسأله:

- هل أنت قلق من نتيجة الحكم..؟

يضحك.. تقتل نفسها غيظاً:

- مازال يمارس لا مبالاته.. أي نوع من الناس هو..؟

تعاود الجلسة افتتاحها.. يحكم الليل:

- حكمت المحكمة حضورياً على المتهم الجاري مع الدم في عروق المدعية، كما تقول، برفض دعواها، واستمرار تدفقه، حماية لإيقاع نبضها ليبقى في نسغه، متألقاً، وأما تهمة إصابتها بالضعف، فهي تهمة باطلة، لأن الضعف صفة بشرية، نستمد منها القوة.. انتهى الحكم، ورفعت الجلسة..

استفاقت.. تلاشى الليل وتلاشى القمر، وتلاشت النجوم، وتلاشى هو، تتبعه، ضحكاته المجلجلة، كمن يضحك في مغارة مهجورة.. أسرعت إلى غرفتها، ترخي الستائر.. استرخت على السرير.. تمددت.. أدارت جسدها النحيل إلى اليمين، وإلى اليسار.. لا تجد وضعاً مريحاً.. رأسها ينزلق على الوسادة، تحاول أن تعيده إلى موضعه:

- الضعف قوة.. لا أكاد أصدق..؟

تضحك من قوتها الفارغة.. يتسلل التعب إلى بدنها.. تحاول أن تستدير إلى جنبها الآخر.. تتداخل خيوط الفجر، وهي تتسلل عبر النافذة.. ها هو الصباح يطل على الكون بأمل جديد، ليعود رائعاً كعادته برغم كل شيء، ولأرحل أنا في ليل الأحزان من جديد..




# صدى الألحان..

شعر: مفرح السيد

أيهـا الحـب الـذي ولّـى زمانـه

وتـوارى عـن فـؤادي عنفوانـه

قبـل مـا يمـضي مـن الحـب أوانـه

أيـن منّـي في هـوى الماضـي حنانـه

* * *

أيهـا الحـب الـذي قـد راح عـني

سـلب المقـدور هـذا الحـب مـني

كـم تمنينـا ومـا يجـدي الـتمني

مـا لهـا لـو حققـت في الحـب ظـني

* * *







أيهـــا الحـــب الـــذي صـــار حطامـــا

أهرقـــت في ليلـــه الكـــف المـــداما

وانطـــوى في ظلمـــة الليـــل النـــدامى

وتلاشـــى الجـــو مـــن نفـــح الخزامـــى

*    *    *

عـــادت الألحـــان في الـــدنيا عـــويلا

تنـــدب العهـــد الـــذي كـــان جمـــيلا

وخليـــل في الهـــوى ضـــم خلـــيلا

قـــصر الليـــل وقـــد كـــان طـــويلا

*    *    *

يـــا صـــدى الألحـــان أيـــن الحـــب أينـــا

كيـــف ضـــاع الحـــب هـــذا مـــن يـــدينا

كـــم علـــى الأطـــلال نحنـــا وبكينـــا

وانتهـــى هـــذا الهـــوى ثـــم.. انتهينـــا